عرض جديد للنقوش الكتابية بالزاوية العدوية بالقاهرة (زاوية زين الدين يوسف) (٦٩٧-٧٣٦هـ/١٢٩٨ - ١٣٣٥م)

New Comprehension of the Inscriptions in the Zawiya al-Adawiyya (Zawiya of Zayn al-Din Yusuf) in Cairo (697-736 AH/1298-1335 CE)



Abstract

This study addressed a new comprehension of inscriptions of a religious building from Bahri Mamluk period called the Zawiya al-Adawiyya or Zawiya of Shaykh Zayn al-Din Yusuf (al-Qadariya Mosque) near Bab al-Qarafa, this monument was built by the members of the Sufism Adawiyya (*tariqa* الطريقة العدوية). They are Kurds, supporters of the Umayyad Dynasty who ruled the Muslim world in the first century of Islam, and they are supporters especially Yazid Ibn Muawiyah, so they are called Yazidis, and also they were enemies of the family of the Prophet and Shiites.

The study addressed the reasons of the Yazidi coming to Cairo, and why they built the Zawiya of this magnificence. Also, the study amended the historical confusion between two contemporary Yazidi men, both of them had the same name Zayn al-Din Yusuf. One of them, a revolutionary politician with an ambition to rule, and the other a Sufi, the Sufi who came to Cairo and became the head of the Sufi shaykhs. The reason for building the Zawiya for them as they was allied with Mamluks, and they were brave and strong, and they fought alongside Mamluks.

The study also addressed the inscriptions of the Zawiya, and explained the reasons why Yazidis put the lineage of Sheikh Uday ibn Musafir in a series of descendants Yazid bin Muawiyah and the tribe Quraysh, or rather why they plagiarized his lineage. The study discussed the Yazidi doctrine of Shaykh Uday ibn Musafir, and what are the boundaries of faith in him. Then the study discussed the method of writing Qur'anic verses in the inscriptions by many illustration drawings.

الزاوية العدوية بالقاهرة

أنشئت هذه الزاوية[١] للطائفة العدوية اليزيدية (الأيزيدية) الكردية، وتقع في أول شارع القادرية،[٢] شمال باب القرافة بحوالي ١٠٠متر تقريبًا، على يمين القاصد إلى ضريح الإمام الشافعي، بهذا الاسم كانت تعرف زمن المقريزي، ثم بجامع القادرية على ما ذكر علي مبارك باشا، وكانت تسمى أيضًا لدى العامة بمسجد عُلَيّ (بالتصغير)،[٣] وهي من المباني النادرة في عمائر القاهرة المملوكية الباقية التي سميت بالزاوية[٤] في نقشها الكتابي،[٥] ويرجع بدء إنشائها إلى عام (٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م) وهو تاريخ وفاة الشيخ زين الدين المنسوبة إليه والمدفون في موضعها قبل إنشائها.

الوصف المعماري والتخطيط

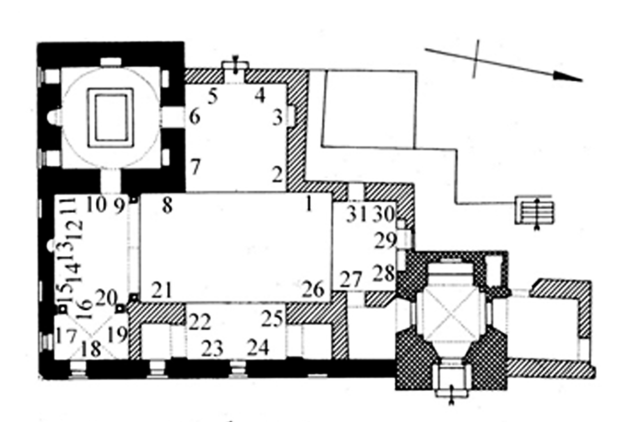
تقع هذه الزاوية (لوحات ١-٣) كما سبق القول على يمين القاصد نحو قبة الإمام الشافعي، وتشغل مساحة مستطيله طولها ٢٨ مترًا × ١٦مترًا، يتقدمها في الساحة الأمامية بوابة وبقايا بناء قديم كان يتقدم الزاوية عليها نقش تأسيس تاريخه سنة (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م) (لوحة ٤)، وتخطيط الزاوية عبارة عن صحن أوسط مكشوف مستطيل أبعاده ١٠ أمتار × ٥ أمتار، يحيط به أربعة أواوين مختلفة الاتساع مغطاة بقبوات مدببة أكبرها إيوان القبلة، ولها واجهتان مبنيتان بمداميك من الحجر الفص النحيت متوسطة الأبعاد، واجهتها الرئيسية هي الشرقية، وبها المدخل تطل على الشارع بكامل اتساعها، قد ازدانت هذه الواجهة أربع دخلات أو تجاويف طولية ضحلة على يسار المدخل، يبلغ ارتفاعها إلى أعلى الجدار، وينتهي اثنان من هذه الدخلات من أعلى بصفوف من المقرنصات، كما يشغل أسفل كل منها فتحة شباك كبير عليه مصبعات حديدية، وعلى غير العادة فإن هذه الدخلات غير مزودة بنوافذ ذات ستائر جصية من أعلى، وإنما هي مصمتة، ويتوج الدخلتين اليمنى واليسرى عقدان مفصصان لهما إطار بارز مفصص على نسق العقد، في حين يتوج الحنيتين الوسطيين حطات من المقرنصات، ويؤطرها إطار بارز على هيئة مربعة، وليس لهذه الواجهة ولا لغيرها من واجهات المبنى شريط كتابي يزخرف أعلاها كما جرت به عادة المنشآت.

أما المدخل (لوحة ٢) فهو على نسق المداخل المملوكية المعاصرة، كتلته بارزة تقوم في الطرف الأيمن من الواجهة الشمالية الشرقية، وقد زُخرفت عضادتاه بشريط كتابي بخط الثلث على مستوى ارتفاع القامة، كتب به جل، الآية الكرسي (لوحة ٥) ونصه كالتالي: ([بسم الله الرحمن الرحيم الله] لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات /// وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيءٍ من علمه إلا بما شاء وسع)[٦]، ويشغل المدخل من أسفل جلستين (مكسلتين) عن يمين وشمال، أما فتحة الباب فيعلوها عتب مستقيم مكتوب عليه ال، الآية الكريمة (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وأكاد أقطع أنه تاريخ كتابتها ليس معاصرًا للمبنى، وإنما كتبت بآخرة، ويعلو عتب الباب عقد عاتق مكون من صنج حجرية من الحجر الأبلق الأصفر الفاقع والأبيض المصفر، ويوجد أعلى منتصف العقد العاتق لوحة رخامية غائرة نقش عليها نقشًا كتابيًا تاريخه (٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م)، ثم يعلو ذلك صفوف من المقرنصات تقوم على مثلثين كرويين مقرنصين، ويتوج مقرنصات المدخل طاقية مفصصة قطاعها مدبب تدبيبًا خفيفًا على غرار قطاع القباب وقمم المآذن المعاصرة لها.

أما الواجهة الجنوبية الشرقية فقسمت إلى خمس دخلات؛ الوسطى مصمتة على يمينها ويسارها دخلتان، في كل منها فتحة شباك بمصبعات حديدية، ويزخرف العقود العاتقة لتلك الشبابيك وإطارها زخارف نباتية، أما عتب الشباكين اليمنيين فيشغلهما بيتين من الشعر منسوبين إلى الشيخ زين الدين يوسف أنشدهما ساعة احتضاره (لوحة ٦، شكل١)، على النافذة الأولى: (ذنوبي غزار لا أطيق لحصرها وعفوك يا مولاي أوفا[٧] وأزيد)، وعلى النافذة الثانية: (وما هي ذنوبي أن أخاف وأنت لي إله ولي يوم الشفاعة أحمد)،[٨] وقد تكرر نص هذين البيتين في نقش إنشاء القبة القديمة وفي نقوش التابوت الخشبي الذي التهمته النيران،[٩] ويلاحظ في نقش هذين الشباكين زخرفة هامات الحروف بلفائف نباتية.

وكان يشغل الجانب الشرقي من البناء الحالي بناء به مصلى ومئذنة وأماكن أخرى ملحقة زالت حديثًا، و لم يبق فيها غير مدخل قديم بقي منفصلًا عن البناء مطلاً على شارع القادرية وعليه نقش كتابي تاريخه سنة (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م)، وبينه وبين الزاوية ساحة كان بها هذه الأماكن، وقد أحيط المكان كله بسور قصير حديث البناء عليه درابزين من حديد،[١٠] وكان جوار الزاوية حوشان موقوفان عليها، وكان يعمل للشيخ زين الدين مولد كل سنة وحضرة كل ليلة جمعة.[١١]

تؤدي فتحة المدخل إلى دركاة مربعة مغطاة بقبو متقاطع، بجدارها الشمالي باب كان يؤدي إلى أجزاء اندثرت حاليًا، وبجدارها الجنوبي دخلة معقودة، بها فتحة باب يؤدي إلى حجرة



تخطيط زاوية زين الدين يوسف موضح عليها أماكن تواجد الإزار الكتابي حول الصحن والأواوين بالأرقام من 31-1 عن: Layla, Ali Ibrahim

مربعة ربما كانت مخصصة لبواب الزاوية أو لمنافع أخرى، وبالضلع الغربي من هذه الحجرة فتحة باب تؤدي إلى الإيوان الشمالي، ومنه يتوصل للصحن الذي يتوسط الزاوية وتحيط به الأواوين الأربعة، وهو صحن مستطيل كان فيما مضى مكشوفًا ولكنه غطي حديثًا، وأول ما تقع عليه عين الناظر ويشد انتباهه شريط كتابي من الجص واضح وعريض يضم آيات من القرآن الكريم، سورة يس،[١٢] يؤطر الأواوين الأربعة والصحن وطاقية المحراب، يقع هذا الشريط على ارتفاع ٣ أمتار من الأرضية الحديثة، عرضه ٧٥ سم، ويبلغ عرض القسم الذي يضم الكتابة ٤٠سم، أما طوله فيبلغ نحوًا من٥٠ مترًا، يبدأ من الحائط الشمال الغربي للصحن، ثم ينعطف على جدران الإيوان الغربي ثم يظهر في الصحن مرة أخرى قبل دخوله إيوان القبلة، ويستمر متسلسلًا ليدور حول المحراب وحول امتداد إيوان القبلة نحو الشرق، ثم يظهر في الصحن قبل أن يدخل الإيوان الشرقي ويدور حوله، ثم يظهر في الصحن ثم يدور حول جدران الإيوان الشمالي، وينتهي عند الطرف الذي بدأ منه بحيث تكون نهايته أول ما يراه الداخل، وهذا الشريط الكتابي من أهم وأجمل الأشرطة الكتابية في عمائر المماليك البحرية، وقد كتب بالحفر البارز داخل سلسلة من البحور أو الحقول المتصلة ببعضها عن طريق عُرى وصرر زخرفية، وتستقر الكتابة على مهاد مستقل من الفروع النباتية النحيلة؛ المرسومة على هيئة دوائر متداخلة ومتماسة ومتقاطعة ومتشابكة ومتحلزنة (عروق لاعبة)، وأطرت الحقول والصرر بإطار بارز مجدول أو مفصص، وملئت الصرر بزخارف هندسية معقدة قوامها الأطباق النجمية والنجوم المتعددة الأشكال والمثلثات والمعينات وأشكال مربعة ومخمسة ومسدسة ومثمنة، أما ترتيب، الآيات على حسب مسارها داخل الزاوية كما في الشكل المقابل (لوحات ٧-١١/ أشكال ٢-٨) كالتالي:[١٣]

١-بسم الله الرحمن الرحيم يس٢- والقران الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم ٣- تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قوما ما انذر اباوهم فهم غافلون ٤- لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يومنون إنا ٥- جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون ٦- وجعلنا من بين ايديهم سدًا ومن خلفهم سدًا فاعشيناهم ٧- فهم لا يبصرون وسوا عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون ٨- انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن ٩- بالغيب فبشرهم بمغفرة واجر كريم انا نحن نحيي ١٠- [ا]لموتا (هكذا) ونكتب ما قدموا واثارهم وكل شيء احصيناه في ١١- امام مبين واضرب لهم مثلا اصحاب ١٢- القرية اذ ١٣- جاها المرسلون اذ ارسلنا ١٤- اليهم اثنين فكذبو ١٥-هما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم ١٦- مرسلون قالو ١٧- ا ما انتـ[ـم] الا بـ[ـشر] مثلنا [وما انزل الرحمن] ١٨-من شـ[ـي]ا[ن]الا [تكذ]بون [قـ]ـالـ[وا ربـنـ]ـا يعلم انا إليكم مرسلون وما علينا الا البلاغ ١٩- المبين قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهو ٢٠- ا لنرجمنكم ٢١- وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا ٢٢- طايركم معكم اينذكرتم بل أنتم قوم مسرفون وجا من أقصى ٢٣- المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين ٢٤- اتبعوا من لا يسلكم اجرا وهم مهتدون ومالي لا اعبد ٢٥- الذي فطرني وإليه ترجعون ااتخذ من دونه الهة ان ٢٦- يردني (هكذا) الرحمن بضر لا تعن عنى شفاعتهم شيًا ولا ٢٧- ينقـ[ـذ]ون [اني اذن لفي ضلال مبين اني امنت بربكم فاسمعون قيل ادخـ]ـل الجنة ٢٨- قال يا ليت قومي يعلمون ٢٩-بما غفر [لي] ربي وجعلنـ[ـى] من الـ[ـمـ]ـكر[مين] اللـ[ـهم] وأعد [برك]ـات٣٠ [١٤]- القران العظيم ٣١- على من انشا هذا المقام والنقباء والخدام ببركة سيدي عد[ي ×××××]»

وقد اختير للعبارة الأخيرة من النص أن تكون على الجدار الغربي للإيوان الشمالي فتكون أو ما تقع عليه عين الداخل إلى الزاوية.

ويعتبر إيوان القبلة أكبر الأواوين أبعاده ٤,٥٠ م×٦,٥٠م، وهو مغطى بقبو مدبب، ويطل على الصحن بعقد مدبب يرتكز على عمودين رخاميين بتاجين ناقوسيين، وبصدر هذا الإيوان محراب صغير نسبيًا، ويؤطر عقده شريط كتابي بخط الثلث به نسب الشيخ

زين الدين يوسف (شكل ٩)، غُطيت كوشتاه وطاقيته بزخارف جصية قوامها الأرابيسك والفروع النباتية المتحلزنة، ويؤطر ذلك كله الشريط الكتابي القرآني من القرآن الكريم، سورة يس) السابق ذكره، ويمتد هذا الإيوان ناحية الشرق بمساحة مستطيلة يتقدمها عمودان مغطيان بقبو متقاطع، وبهذا يكون الجدار الشرقي لإيوان القبلة جزء من الواجهة الرئيسية، ويطل على الساحة التي تتقدم الزاوية والشارع بنافذة نراها من الخارج ضمن الدخلة الأخيرة من دخلات الواجهة.[١٥]

وكان بهذا الإيوان قبر يقع على يمين المحراب ملاصقًا لجدار القبة، يقال له قبر السيد محمد الواقف، وهو القبر الذي أشار إليه السخاوي بقوله: 'وبهذه التربة قبر – بإيوان – شرقي باب القبة، به الشيخ الصالح العارف بهاء الدين أبو الفتح محمد بن أحمد العدوي، أحد خلفاء الشيخ الصالح زين الدين أبي المحاسن يوسف، توفي في ثالث عشر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وسبعمائة.[١٦]'

أما باقي الأواوين فمختلفة الاتساع ومغطاة بأقبية مدببة، واستخدمت في مرحلة لاحقة لتأسيس الزاوية لدفن الموتى؛ حيث وُجد بها قبور قديمة وأخرى حديثة، فالإيوان الغربي مستطيل أبعاده ٥,٥٠ م × ٥,٢٠ م كان به قبران قيل أن أحدهما قبر الشيخ حسنين الغمري والآخر قديم عليه تابوت خشبي عليه اسم وتاريخ وفاة صاحبه قرأه أحمد تيمور باشا كالتالي: 'توفا العبد الفقير إلى الله السيد محمد بن الشيخ علي بن الشيخ حسين بن السيد شمس الدين محمد بن الشيخ حسام الدين شرشيق بن الشيخ عبد العزيز بن السيد الحسيب النسيب [.....] الفرد الحاج محي الدين عبد القادر الكيلاني الحسني توفا (هكذا) ليلة السبت سنة أربع وأربعين وثمانماية،[١٧]' أما الإيوان الشرقي فمستطيل أبعاده ٥,١٠ م × ٢,٨٠ م وكان به قبران، قيل إن أحدهما قبر الشيخ علي القشلان المدفون في نهاية القرن التاسع عشر سنة (١٨٨٠م)،[١٨] والقبر الثاني فصاحبه مجهول، ويوجد بالضلعين الشمالي والجنوبي لهذا الإيوان فتحة باب تؤدي كل منهما إلى حجرة صغيرة، أما الإيوان الشمالي فمستطيل أيضًا أبعاده ٤,٨٠ م × ٣ م لم يكن به شيء لأنه يمر منه إلى صحن الزاوية.[١٩]

وبالنسبة للضريح فيدخل إليه من مدخلين، أحدهما في الإيوان الغربي يغلق عليه باب خشبي، والآخر في إيوان القبلة وهو المدخل الرئيسي، إذ إن النقوش الكتابية وضعت عليه؛ حيث يعلوه نقش كتابي تاريخه سنة (٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م)، ويؤطره شريط كتابي بخط الثلث منفذ بالحفر الغائر وملئت كلماته بمعجون صمغي أسود اللون (لوحة ١٢) نصه كالتالي: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ولما رأ[٢٠] (هكذا) المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا [الله ورسوله وصدق الله ورسو]له من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزي الصادقين بصدقهم [ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم[٢١]] وصلى الله على سيد المرسلين وخاتم النبيين وعلى اله وازواجه وذريته أجمعين)، ويوجد يمين الداخل في ممر هذا المدخل إلى القبة (حيث إن سمك الجدران خلق دهليزًا قصيرًا) النص التالي: '[لا] إله إلا الله محمد رسول الله، لا إله إلا الله سيدي عدي ولي الله سيدى عدي ظهر xxxx' وعلى يسار الداخل: '[سيدى عدي يشفـ]ـع إلى الله سيدي عدي به الوسيلة إلى الله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم' (شكل ١٠) وبعض كلمات أخرى اندثرت.[٢٢]

أما القبة من الداخل فهي مربعة أبعادها ٥ أمتار × ٥ أمتار، يتصدرها محراب في جهة القبلة يكتنفه عمودان ذوا تيجان كورنثية، وزُخرف جانبا هذا المحراب بكتابة بالخط الكوفي ذي الأشكال الهندسية تضم الاسمين الميمونين (محمد، علي) (شكل ١١)، مكتوبة بطريقة التضاد اللوني الذي يُظهر كلاهما الآخر بقطع رخامية بيضاء وسوداء،[٢٣] ويحيط بجدار الضريح من أسفل وزرة رخامية متعددة الألوان يعلوها إزار خشبي، أما المحراب فمشغول بالرخام والصدف، عليه تاريخ تجديد سنة (١٠٣١هـ/ ١٦٢١م)، ويتوسط القاعة تركيبة ضريح الشيخ زين الدين وهو مجدد حديثًا؛ لأنه في الأصل كان يحيط به مقصورة خشبية مزخرفة بالأطباق النجمية المشغولة الصدف[٢٤] كان يغطيه في أوائل القرن الماضي ستر أخضر مطرز بقماش أحمر وأبيض بما نصه: 'مقام سيدى عليّ ابن عبد القادر الكيلاني' وقد احترق كل ذلك عام ١٩٠٧ م كما سيأتي بيانه.[٢٥]

ويعلو جدران مربع الضريح قبة من الآجر مفصصة من (٢٩) فصًا، تستقر على منطقة انتقال، من أربع حطات من المقرنصات في الأركان الأربع، كل حطة مكونة من ثلاثة صفوف من الحنايا ذات عقود منكسرة، ويؤطر هذه الحنايا أطر من، الآيات القرآنية المكتوبة بخط الثلث، ويتبادل مع هذه الحنايا ثلاثة صفوف من نوافذ هرمية تقع فوق منتصف كل جدار، يتكون الصف السفلي من ثلاث نوافذ، يعلو ذلك نافذتان ثم نافذة واحدة، وهذه النوافذ مغشاة بستارة جصية مخرمة ومشكلة من زخارف الأرابيسك ومؤطرة بشريط كتابي يضم عبارة (ا)لملك لله، كما توجد على جانبي النافذة الوسطى التي في

الصف السفلي وفوقها وبين النافذتين في الصف الأوسط؛ يوجد زخرفة كتابية للاسم الميمون (علي) مكتوب بالخط الكوفي ذي الأشكال الهندسية داخل أشكال سداسية (شكل١٢–١٣).

ورقبة القبة مثقوبة بعشرين نافذة ذات قطاع مسنم الشكل، ومغشاة بستائر جصية مخرمة مكونة من زخارف الأرابيسك المعشق بالزجاج الملون، ويعلو ذلك شريط إزار جصي عريض بخط الثلث المنفذ بالحفر البارز على أرضية من فروع نباتية كتلك التي في الإزار الموجود حول الصحن والأواوين ولكنها بدون بحور ولا عُرى، نصه كالتالي: (بسم الله الرحمن الرحيم شهد الله انه لا إله الا هو والملائكة واولوا العلم قائمًا بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين اوتوا الكتاب،)[٢٦] ويجرى فوق الإزار السابق شريط كتابي ضيق عرضه ربع عرض الشريط السابق، مكتوب بخط الثلث المنفذ بالحفر البارز على أرضية بسيطة خالية من الفروع واللفائف تحمل آيات من القرآن الكريم، سورة يس) من أولها حتى قوله تعالى: (وكل شيء احصيناه في امام مبين)،[٢٧] وقد زخرف قطب القبة ميدالية محاطة بشريط من كتابة إشعاعية دائرية عريضة بخط ثلث حروفه مطموسة العيون منفذ بالحفر البارز (شكل ١٦) نصه: (بسم الله الرحمن الرحيم الا ان اولياء الله لا خوفا (هكذا) عليهم ولا هم يحزنون لهم[٢٨] (هكذا) البشرى.)[٢٩]

وتظهر القبة من الخارج (لوحة ١، ٣) مفصصة من (٢٩) فصًا يُحزم رقبتها طراز كتابي جصي عريض، يضم آيات من القرآن الكريم بخط الثلث على أرضية نباتية منفذ بالحفر البارز، يبلغ عرضه ٨٥ سم، يعلوه شريط كتابي كوفي منفذ بالحفر البارز ومكون من عبارة (الملك لله) بعرض ١٥سم، يؤطر ذلك كله من أعلى إطار مزدان بزخارف هندسية عرضه ١٥ سم، ومن أسفل إطار مزدان برخارف نباتية بنفس عرض الإطار العلوي، ويجرى أسفل الإطار العلوي، والطراز الكتابي العريض نفذ بخط الثلث على أرضية قوامها فروع نباتية على شكل دوائر حلزونية يخرج منها الأوراق النباتية المختلفة الأشكال والأحجام، وهذه الفروع مزخرفة بالتعريق الداخلي وهذه الأوراق لم تترك بسيطة خالية؛ وإنما ملئت سطوحها بالتخريم الذي يظهر زخارف نباتية وفراغات لوزية تكبر وتصغر وتعتدل وتميل، هذا بالإضافة إلى بعض الجدائل الهندسية وبعض علامات الشكل والإعجام، وقد نقش في هذا الطراز خاتمة القرآن الكريم، سورة البقرة (لوحة١٣ – شكل ١٧) كالتالي: (بسم الله الرحمن الرحيم لله ما في السموات والأرض وان تبدو ما في أنفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء[والله على كل شيء قدير] امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير، [لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها] ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا).[٣٠]

النقوش الكتابية بالزاوية

تعتبر زاوية زين الدين يوسف من أهم العمائر التي تجسد دور النقوش الكتابية التسجيلي والزخرفي، فقد أكسبت النقوش الكتابية هذا المبنى قيمة إلى قيمته وخطرًا إلى خطره، فهناك ثلاثة نقوش تؤرخ للمبنى وترصد مراحل تطوره، وتسجل نسب البيت العدوي، وبالإضافة إلى ذلك شريط كتابي زخرفي على عضادتي باب الزاوية؛ وشريط يُحزم رقبة القبة من الخارج ومن الداخل، وإزار كتابي يُحزم المبنى كله من الداخل حول الأواوين وحول الصحن.

وقد رصدت الدكتورة ليلى إبراهيم تطور المبنى من خلال نقوشه الإنشائية؛ فوجدت أن أقدم النقوش (٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م) يشير إلى إنشاء القبة على قبر الشيخ بعد وفاته، وهي القبة القديمة التي هدمت حين أنشئ المبنى الحالي عام (٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م)، ومن هذا الإنشاء يرجع نقشان كتابيان أحدهما بلاطة رخامية على مدخل القبة في إيوان القبلة، والآخر شريط كتابي حول عقد المحراب، ويمكن من خلال الشريط الكتابي على المحراب وتطابقه مع النقش الموجود على باب القبة والمؤرخ (٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م) يمكن نسبة الإزار الذي يُحزم رقبة القبة من الخارج والإزار الذي يُحزم المبنى كله حول الأواوين والصحن والإزارات على رقبة وباطن القبة من الداخل إلى سنة (٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م)، أما النقش الثالث فيرجع إلى عام (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م)، ويوجد أعلى المدخل الخارجي الذي يتقدم ساحة الزاوية على حد الشارع.[٣١]

- نقش إنشاء القبة القديمة على ضريح الشيخ زين الدين يوسف (٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م):

هو أقدم النقوش بالزاوية، عبارة عن بلاطة رخامية أبعادها ٣٨ سم × ٦٧ سم مثبتة في دخلة الباب الرئيسي للزاوية فوق العقد العاتق وبين المقرنصات التي تحمل طاقة الدخلة، تحمل ١٧ سطرًا بخط الثلث الركيك المنفذ بالحفر البارز، لا يفصل بين سطورها خطوط بارزة،

وحدث بها تلف بسيط لم يؤثر على قراءة النقش، وأغلب الظن أنه صنع ليثبت فوق القبة الأولى التي دفن فيها الشيخ زين الدين قبل تجديد القبة وإضافة المبنى الحالي، ويعتبر وثيقة جامعة لنسب الشيخ زين الدين مرفوعًا إلى أجداده الأمويين (لوحة ١٤)، نصه كالتالي:

١- بسم الله الرحمن الرحيم أنشأ[٣٢] هذه القبة المباركة على ضريح السيد الإمام

٢- العالم العارف المحقق إمام الموحدين تاج العارفين زين العابدين أبي الشمائل

٣- الشيخ زين الدين يوسف ابن السيد الإمام العالم العارف القدوة شرف

٤- الإسلام غوث الأنام الشيخ [شر]ف الدين محمد بن[٣٣] (هكذا) السيد الإمام العالم

٥- العارف شيخ الحقيقة ناصر السنة قامع البدعة شمس [الدين] أبي محمد

٦- شمس الدين الشيخ الحسن ابن السيد الإمام العالم العارف علم

٧- الأبرار غوث العباد تاج الزهاد شيخ شيوخ الإسلام

٨- أبي الحسن شرف الدين عدي ابن السيد الإمام العالم العارف الشيخ

٩- أبي البركات ابن صخر ابن[٣٤] (هكذا) مسافر ابن اسماعيل ابن موسى ابن

١٠- مروان ابن الحسن ابن مروان ابن الحكم الأموي القرشي

١١- قدس الله روحه ونور ضريحه وكان انتقاله إلى دار الخلود

١٢- وجوار الملك الودود في ثاني ساعة من نهار يوم

١٣- الاثنين[٣٥] ثالث عشر ربيع الأول سنة سبع وتسعين وستماية

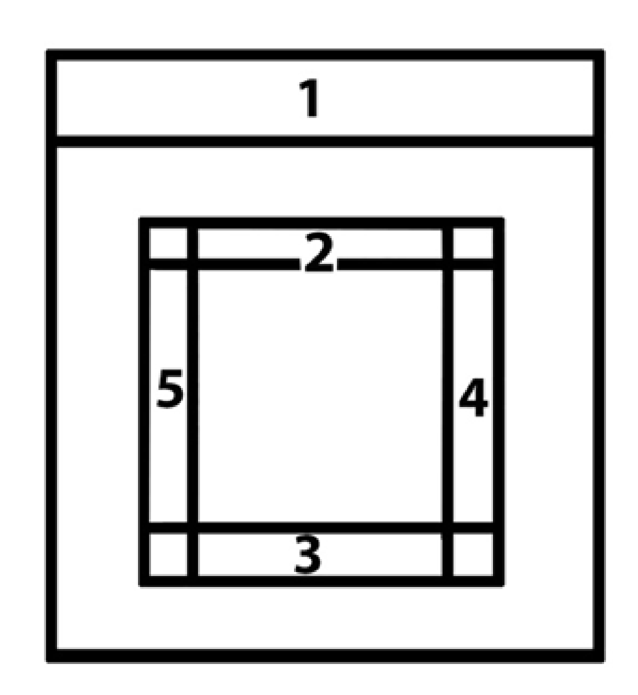
١٤- ومما أنشده في حال عبوره ذنوبي غزار لا أطيق لحصرها

١٥- وعفوك يا مولاي أوفى وأزيد، وما هي ذنوبي

١٦- أن أخاف وأنت لي إله ولي يوم الشفاعة أحمد

١٧- وكان فراغ القبة في شهر شوال سنة سبع وتسعين وستماية.[٣٦]

وكان بالقبة تابوت خشبي مطعم بالعاج رائع الصنع، ولكن لسوء الحظ اندلع حريق مروع في الزاوية في شهر يونية سنة (١٣٢٥هـ/



١٩٠٧م) أدى إلى احتراقه عن آخره واحتراق كل الأثاث الخشبي في الضريح، وتضررت الوزرة الرخامية ومقتنيات أخرى كثيرة، وكان يزخرف التابوت المذكور أشرطة بخط الثلث على أرضية من الزخارف النباتية مضمونها، الآية الكرسي، ونسب الشيخ، وتاريخ وفاته، ومزخرف بزخارف نجمية محلاة بالصدف، وكان الأستاذ يوسف أحمد خطاط لجنة حفظ الآثار العربية المعروف قد قرأ هذه النقوش، وسجلها قبل أن يأتي عليها الحريق[٣٧] وهي كالتالي حسب ترتيب الأسطر في الشكل المقابل:

١- بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم.... (إلى آخر، الآية الكرسي)

٢- هذا ضريح السيد الإمام العالم العارف الشيخ زين الدين يوسف بن الشيخ شرف الدين محمد بن السيد شمس الدين الحسن بن السيد الإمام الشيخ شرف الدين عدي بن أبي البر

٣- كات ابن صخر بن مسافر بن اسمعيل ابن موسى ابن مروان ابن الحسن بن مروان ابن الحكم الأموي قدس الله روحه ونور ضريحه انتقل إلى رحمة الله يوم الاثنين ثالث ربيع

٤- الأول سنة سبع وتسعين وستمية ذنوبي غزار لا أطيق لحصرها وعفوك يا مولاي أو

٥- فا[٣٨] (هكذا) وأزيد وما هي ذنوبي أن أخاف وأنت لي إله ولي يوم الشفاعة أحمد.[٣٩]

- نقش تعيين مقام الشيخ زين الدين وتأريخ البناء الحالي (٧٢٥هـ - ١٣٢٥م):

هو بلاطة رخامية مثبتة فوق مدخل القبة الموجود في الجدار الجنوبي الغربي لإيوان القبلة، أبعادها ١١٠ سم × ٧٥ سم، تحمل أربعة أسطر بخط الثلث المنفذ بالحفر البارز، تفصل بينها خطوط بارزة، تحمل نسب الشيخ، ولكن باختصار لضيق المساحة (لوحة ١٥/ شكل ١٨) ونصه كالتالي:

١- بسم الله الرحمن الرحيم السابقون السابقون أولئك المقربون في جنات

٢- النعيم[٤٠] هذا مقام السيد الإمام القدوة شيخ شيوخ الإسلام شيخ الطريقة ومعدن

٣- الحقيقة فريد العصر شرفت بإقدامه مصر أوحد شيوخ المسلمين زين الدين بن الشيخ محمد بن الحسن بن

٤- الشيخ عدي بن أبو البركات بن صخر بن مسافر الأموي نفع الله ببركاتهم المسلمين وذلك في ربيع الأول سنة خمس وعشرين وسبعماية.[٤١]

شريط كتابي يحوي نسب الشيخ زين الدين يوسف يؤطر المحراب (٥٢٧هـ/ ١٣٢٥م)

هو عبارة شريط كتابي ضيق بخط الثلث يؤطر عقد طاقية المحراب، وثم يدور حول تجويف المحراب أسفل الطاقية مباشرة، وهو يطابق النص السابق، وهو برهان قوي أن تاريخهما واحد مما يساعدنا في تأريخ الأشرطة الزخرفية (لوحة ١٦/ شكل ٩) ونصه كالتالي:

'هذا مقام السيد الإمام القدوة زين الدين يوسف بن الشيخ محمد ابن الحسن ابن الشيخ عدي ابن أبي البركات ابن صخر ابن مسافر ابن اسمعيل ابن الحسن ابن مروان بن الحكم الأموي قدس الله روحه ونور ضريحه[٤٢].'

- نقش تأسيس باب الزيادة التي ألحقت بالمبنى من الأمام فيما بينها وبين الشارع (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م):

وهو عبارة عن بلاطة حجرية تحمل خمسة أسطر بخط الثلث المنفذ بالحفر الغائر، مثبتة أسفل مقرنصات دخلة المدخل المتقدم الذي أنشئ عام (٧٣٦هـ) ليكون بابًا لمبنى ألحق بمقدم الزاوية (لوحة٣)، كان يشتمل على ملحق به مصلى ومئذنة زالت الآن، ثم لما أدرك الخراب هذا الجزء الذي أضيف للزاوية استعمل كساحة للدفن، ويشير النقش لأول مرة أن المبنى زاوية وليس مجرد ضريح وليس مدرسة ولا خانقاه، وهذا يحتمل أمرين؛ الأول: أن المكان تحول من قبة ضريحية مفردة إلى زاوية سنة (٧٢٥ه - ١٣٢٥م) ولكن لم يذكر في النقوش لأن الأمر كان أوضح من أن يحتاج إلى توضيح، والثاني: أن المبنى كان بحاجة لزيادة مرافق ليقوم بدور الزاوية على الوجه الأمثل؛ ولذا تم إضافة بناء أمامه سنة (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م) ومن هنا أطلق عليه زاوية في النقش الجديد.

وكان من نتيجة حجب المبنى القديم (الباقي) وجعله بعيدًا عن الشارع والجمهور بالمبنى الجديد (المندثر)؛ أن تم إعادة كتابة نسب الشيخ زين الدين يوسف واسم المنشأة مرة أخرى في نقش جديد يكون بديلًا للنقش الموجود على المدخل القديم، ويلاحظ أن هناك فرقًا في تاريخ وفاة الشيخ زين الدين يوسف في هذا النقش عن التاريخ الوارد في النقش القديم الموجود على مدخل المبنى المؤرخ بسنة (٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م) الذي ذكر تاريخ وفاة الشيخ زين الدين (يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الأول من السنة المذكورة)، وبين تاريخ الوفاة في النقش الذي نحن بصدده (يوم الاثنين رابع شهر ربيع الأول)، فيكون الفارق بينهما تسعة أيام، (لوحة ١٧/ شكل ١٩) ونصه كالتالي:

١- بسم الله الرحمن الرحيم هذه الزاوية[٤٣] (هكذا) الشيخ الإمام زين الدين يوسف بن الشيخ شرف الدين محمد بن الشيخ الثقة[٤٤]

٢- والإمام شمس الدين حسن ابن الشيخ عدي ابن أبي البركات ابن صخر ابن مسافر ابن اسماعيل ابن موسى ابن عبد الملك ابن الوليد

٣- ابن مروان ابن عبد الملك ابن إبراهيم بن الوليد ابن الحكم ابن عمر بن عبد العزيز ابن مروان ابن الحكم ابن سليمان ابن عبد الملك ابن معاوية ابن

٤- يزيد ابن معاوية ابن صخر ابن حرب ابن مرة ابن أمية ابن عبد شمس ابن عبد مناف وهو ابو جد النبي صلى الله عليه وسلم وتضاف النسبة إلى الإمام

عثمان رضي الله عنه توفي يوم الاثنين رابع شهر ربيع الأول سنة سبعة وتسعين وستماية، وكان ابتداء هذا الباب المبارك سنة ستة[٤٥] (هكذا) وثلاثين وسبعماية.[٤٦]

ولكي نفهم النقوش فهمًا سليمًا يجب فهم الظروف والأحداث التي خلقت كل هذا الزخم الذي انتهى وطوته الأيام، ولكن بقي منها هذه الزاوية ونقوشها الكتابية لذلك وجب التعريف بالفرقة اليزيدية، والطائفة العدوية وأسباب مجيئهم إلى مصر في العصر المملوكي، ثم محاولة فهم أسباب بناء الزاوية بهذا النمط من البناء وفي ذلك التوقيت من التاريخ، وما شاب روايات المؤرخين من تخليط، وسنحاول استكشاف منشئ الزاوية؛ لأن النقوش تخلو من ذكر المنشئ، ونظرًا لوجود اضطراب في نسب الأسرة العدوية في النقوش وفي كتب المصادر فسنحاول ضبط هذا النسب ونبين الأسباب التي دعت إلى هذا الاضطراب، ثم نلقي الضوء على عقيدة اليزيدية لدى الشيخ عدي نظرًا لورود نقش في ذلك، ثم نحاول أن نفسر نقش اسم علي بن أبي طالب ﷺ في الزاوية مع أن اليزيدية أعداء لآل البيت، ثم نلقي الضوء على، الآيات القرآنية وعلاقتها برسم المصحف.

الفرقة اليزيدية

اليزيدية[٤٧] في الأصل فرقة إسلامية توالي الأمويين وتتعصب لهم في أمر الخلافة باسم الدين، كما ناوأت آل البيت وشيعتهم – أقوى حزب ناضل الأمويين – ومن ثم تعتبر هي والشيعة طرفي نقيض، كل ذلك في سبيل إرجاع الحكم والسيادة لبني أمية؛ وإحياء أمجادهم من جديد بعد سقوط دولتهم والتنكيل بهم أشد تنكيل وأقساه على يد العباسيين، وتطورت هذه الطائفة على مر العصور فأخذت بعدًا دينيًّا، وتحولوا إلى طريقة صوفية سُنيّة معتدلة التصوف تعرف بالعدوية؛ نسبة إلى شيخهم عدي بن مسافر الأموي أحد أفراد الدوحة الأموية، واشتهر أتباعها بالشجاعة والفروسية ومال إليها طلاب الدنيا والآخرة على السواء؛ حتى استفحل أمرها في القرن السابع الهجري، في وقت محنة العالم الإسلامي حيث الانحلال السياسي للدولة العباسية؛ والحروب مع الفرنجة وسيطرة الترهات والخرافات على المنهج العقلي السليم، ثم بالغت هذه الطائفة في حب وإطراء يزيد بن معاوية، وفي تقديسها للشيخ عدي، وآمنت بأفكار وعقائد شاعت في العصور الوسطى كالحلول وتناسخ الأرواح، ثم تحولت إلى فرقة منسلخة عن الإسلام خارجة عليه تغلو غلوًّا فاحشًا في يزيد، ثم إلى ديانة كاملة مستقلة نقيضة للإسلام.[٤٨]

وكان من أسباب غلو اليزيدية في معاوية وابنه يزيد؛ والزراية على آل البيت؛ هو بغضهم ومناوئتهم للشيعة، ولهذا قابلوا غلو الشيعة في علي وابنه الحسين؛ بالغلو في يزيد وبخس علي بن أبي طالب ونسبته إلى الممالأة على قتل عثمان ﷺ، حتى إنهم أخرجوه من أئمة الهدى إلى جملة أئمة الفتن، وجعوا ابنه الحسين خارجيًّا شاقًّا لعصا المسلمين، واستدلوا بقول النبي ﷺ: 'من خرج على أمتي وهم جميع فاقتلوه كائنًا من كان[٤٩].'

وهكذا لعن اليزيدية عليًّا وبنيه على منابرهم كما لعن الشيعة معاوية ويزيد على منابرهم، واستمر لعنهم لعلي حتى نهاية القرن الحادي عشر الهجري[٥٠]، وكما يحيي الشيعة يوم عاشوراء بالبكاء والنواح وضرب الصدور حزنًا وندمًا على تثاقلهم عن الحسين، يتخذه اليزيدية يوم عاشوراء يوم فرح وسرور ورقص ضرب طبول، يزعمون أن إمام الوقت (يزيد) ظفر بعدوه (الحسين) وقتله في ذلك اليوم،[٥١] وكما يعتقد الشيعة في المهدي المنتظر؛ يعتقد اليزيدية في السفياني المنتظر الذي يظهر آخر الزمان، ويكون أمره كأمر المهدي المنتظر على حد زعمهم،[٥٢] وكما اتخذ المختار الثقفي الذي ثار على قتلة الحسين كرسيًّا؛ ادعى أنه من مخلفات الإمام علي ﷺ وكساه بالديباج، وأنه بمثابة تابوت موسى لبني إسرائيل، لا يحمله جيش إلا كتب له النصر، في مقابل ذلك قدس اليزيدية تخت يزيد؛ ادّعوا أنه كان يجلس عليه يزيد أيام الخلافة، وعليه يجلس أميرهم،[٥٣] وإذا كان مشهد الحسين مقدس عند الشيعة؛ فإن تربة الشيخ عدي بن مسافر مقدسة عند اليزيدية (لوحة ١٨).[٥٤]

واليزيدية اليوم طائفة من الأكراد تقطن في جهات الموصل شمال غربي العراق في الجنوب من كردستان أنحاء: جبل سنجار وجزيرة ابن عمر ولالش (ليلش)[٥٥] أو في قرية الشيخين وباعذري بجبل هكار[٥٦] وناحية بعشيقة، وكان قد لجأ من سلم من الأمويين بعد سقوط دولتهم إلى الجبال المنعزلة الحصينة في إقليم الموصل بالعراق موطن الأكراد، واعتصموا بتلك الأماكن النائية عن بطش العباسيين ومطاردتهم، وتنتشر جماعاتهم في سورية نواحي دمشق وفي شمال سورية أيضًا بجبل سمعان وعفرين، ويوجد جماعات منهم في تركيا شرق الأناضول بملطية ومرعش، وجماعات في إيران، وأخرى في أرمينيا، وأولئك وهؤلاء لهم عقائد خاصة تخالف الجمهور من المسلمين، بل والديانات السماوية جميعًا، فهم توارثوا تقاليد جاهلية وقومية ودينية صوفية وتأثروا بالعديد من الأديان والفرق

والطوائف المختلفة في النواحي التي سكنوها كالبرهمية والزرادشتية والثنوية المانوية والمزدكية والشامانية؛ وما يتصل بهذا كله من الأهواء والأقاويل والتطرف والغلو والآراء الشاذة والكلمات المبهمة التي توجب الكفر والضلال، مما أفسد جوهر إسلامهم وباين بينهم وبين جميع الفرق الإسلامية، وانحرف بهم وباعد بينهم وبين تعاليم الدين القويم، وخرجوا من الإسلام جملة، ولا يخفى ما يطرأ على النحل والمذاهب من التبديل بعد ذهاب الداعين إليها بالابتداع تارة وتبديل النصوص تارة أخرى وبتأويل النصوص حسب الأهواء والآراء.[٥٧]

الطائفة العدوية اليزيدية

رغم تعاقب الدول واختلاف العصور والأطوار وتتابع المحن وازدحام الخطوب في إقليم الموصل، لكن اليزيدية استمروا على ما هم عليه من ولائهم ومناصرتهم للأمويين، وإكبارهم ليزيد بن معاوية واعترافهم له بالإمامة والصلاح؛ ومناوأة آل البيت والغض من علي بن أبي طالب والغلو في تحقيره، حتى إذا أظلهم القرن السادس الهجري، قدم عليهم من الشام الشيخ الصالح القدوة؛ عدي بن مسافر الأموي الشافعي أحد أفاضل عباد الله الصالحين؛ الذي يعود نسبه إلى الفرع المرواني من بني أمية، وكان قد سلك طريق الصلاح والزهد في الحياة ولزم المجاهدة والانقطاع والتنقل في البراري والقفار، فأعجبوا بصلاحه وتأثروا بمواعظه وانقادوا لتعاليمه وإرشاداته القويمة، تلك التعاليم التي تدعو إلى وحدة المسلمين وعدم التفريق بينهم إلا بالتقوى، والكف عن لعن الناس أيًّا كانوا وتحريم اللعن عمومًا، والإمساك عن الحديث في الفتنة الكبرى واختلاف السلف الصالح فيما بينهم والاعتدال فيهم، وقد استطاع الشيخ عدي أن يردهم إلى القصد ويخفف من غلوائهم في حبهم ليزيد وتعصبهم للأمويين، وتشنيعهم على آل البيت والسرف في بغضهم علي بن أبي طالب، وأصبحت منزلة الشيخ عدي رفيعة عندهم حتى أطلق عليه 'شيخ الأكراد وإمامهم'، ومن ذلك الوقت غلب عليهم اسم (العدوية).[٥٨]

وما من شك أن الله كتب للشيخ عدي القبول بين الأكراد وغرس حبه في قلوبهم، فتأثروا بدعوته وارتدع بسببه قطاع الطرق وأهل الفساد، وكان الناس إذا أقبل إلى قرية من القرى يتلقونه تائبين، وجاء ذات مرة إلى الموصل ونزل في زاوية خارجها، فخرج إليه الحاكم وأصحاب الولايات والمشايخ والعوام حتى آذوه وهم يقبلون يده، فوضع بينه وبين الناس شباك بحيث لا يصل إليه أحد إلا رؤية.[٥٩]

والشيء الذي لا شك فيه أن أتباعه في أول أمرهم كانوا على طريقة مستقيمة، يتأثرون بشيخهم ويرتسمون خطاه في العبادة والطريقة والسلوك، وهو في ذلك كله على نهج السلف الصالح، ثم خلف الشيخ عدي في أتباعه أخيه (صخر بن مسافر)، وكان هذا عالمًا عاملًا على جانب كبير من التقوى، ثم خلف صخر بن مسافر ابنه أبي البركات صخر بن صخر، وخلف أبو البركات ابنه (عدي بن صخر)؛ وكان لا يقل عن أبيه وأجداده في العلم والورع، وكان هؤلاء المشايخ جميعًا من أجل مشايخ العراق وأصحاب كرامات، ولكن الشيخ (حسن بن عدي بن صخر) أوقع أتباعه في الغلو الذي حذر منه الإسلام، وزاد أشياء باطلة في طريقته نظمًا ونثرًا كالحلول ووحدة الوجود والرجعة وتناسخ الأرواح، وألف كتاب (الجلوة لأرباب الخلوة)،[٦٠] وغالى في يزيد بن معاوية،[٦١] فقال أن يزيد كان إمامًا عادلًا هاديًا مهديًّا؛ وأنه كان من الصحابة بل من أكابر الصحابة، وأنه كان من أولياء الله تعالى، وقال: (من وقف في يزيد وقفه الله على نار جهنم)،[٦٢] كما جاوز بهم اعتقادهم في تعظيم الشيخ عدي الأكبر صاحب الحق الشرعي في وراثة الأمويين، بحيث لا يستطيع أحد أن يساويه من كبار الأولياء الصالحين، ونسب إليه الخوارق، وجعل مرقده[٦٣] (لوحة ١٨) قبلتهم التي إليها يصلون وذخيرتهم في الآخرة التي يعولون عليها.[٦٤]

ومهما يكن من الأمر فقد استمر تطور عقائد الزيدية عبر الزمن، وأخذ انحرافهم يزداد رويدًا رويدًا، ولا سيما أن جلهم كان من الأميين؛ لأن رؤساءهم الدينيين حرموا عليهم الكتابة والقراءة من قبل، ودخل عقائدهم التجسم والحلول والاتحاد والقول بالتناسخ، ودخلت عقائد أخرى يهودية ومسيحية ووثنية وصابئة وخارجية وعقائد كفرية أخرى؛ وكان الشيخ عدي بن مسافر لما وجد تفاقم لعن علي بن أبي طالب؛ حرم عليهم اللعن، ثم غالوا من بعده في تحريم اللعن والاحتراز منه حتى حرموا لعن الشيطان، ثم قدسوا الشيطان وهو المسمى عندهم (طاووس ملك) أو (طاووس الملائكة) خوفًا من شره وبرروا من عدم انصياعه للسجود لآدم،[٦٥] ولهم في كتم نحلتهم والاحتفاظ بأسرارهم مبالغة شديدة، وهذا طوى أمرهم وستر دخائلهم عن الناس زمنًا بعيدًا.[٦٦]

وكان أفراد البيت العدوي (آل مسافر) يتمتعون بجاه عظيم وقدر رفيع، ويعيشون في ترف ورخاء ونعيم، لإقبال الناس عليهم والتقرب لهم بصفوة أموالهم، وكان العلم والأدب شائعًا بينهم،[٦٧]

وأول من اختلجت أمنية الحكم في صدره الشيخ (الحسن بن عدي بن صخر بن صخر بن مسافر)، وأي غرابة في ذلك والدولة العباسية كانت في غاية الضعف، وأتباع الشيخ من الأكراد كانوا منتشرين في الهلال الخصيب وفي الأناضول وشمال سورية، ومكانته لا حد لها لديهم وطاعته عندهم مطلقة، لذا كان هو فعليًّا صاحب الكلمة النافذة في البلاد، فإشارة منه تكفي أن يخربوا الموصل وما جاورها من أقطار، وكان قد انقطع عن أتباعه مدة، خرج بعدها عليهم بتعاليم جديدة وخطيرة، فيها البدع والضلالات وتصديق خوارق العادات والانقياد التام له، ثم أرسل دعاته بأعلام الثورة إلى بلاد الجزيرة والشام، فتحولت الطريقة العدوية إلى حركة سياسية تحت ستار ديني، تهدف إلى إعادة الحكم للبيت الأموي، فأقلقت تحركاته حاكم الموصل آنذاك بدر الدين لؤلؤ (٦٣١ – ٦٥٧هـ)، ثم ارتكب العدوية آنذاك حماقة كبرى، حين أقدموا على نبش قبر أحد غرمائهم ويدعى الشيخ أبي أحمد عبد الله بن الحسن بن المثنى المعروف بابن الحداد وخربوا قبره وأحراقوا عظامه، فاتخذها بدر الدين لؤلؤ ذريعة للقضاء على الشيخ الحسن بن عدي وطائفته، وقد أتيح له ذلك، احتال حتى قبض على الشيخ وقتله بقلعة الموصل سنة (٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م) وشن حملات مدمرة على جبل لالش مما اضطر العدوية إلى الهجرة إلى مصر والشام.[٦٨]

أما ابنه وخليفته الشيخ محمد بن الحسن بن عدي فقد حاول أن يجد حليفًا يكون عونًا له على قاتل أبيه بدر الدين لؤلؤ، فاتصل بالسلطان السلجوقي عز الدين كيكاوس بن كيخسرو وحاز منه على إقطاع بلدة (خرتبرت)، وحارب هو وأتباعه أعداء هذا السلطان من المغول، ولكنه قتل عام (٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م) في إحدى تلك المعارك،[٦٩] وكانت الطريقة العدوية قد ذاعت في الشرق واتبعها خلق كثير، فاعتمد عليهم عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود في حروبهما ضد الفرنجة، ولذلك لا غرابة أنهم شكلوا عماد الجيوش الأيوبية التي ناضلت الفرنجة وجاهدتهم جهادًا كبيرًا،[٧٠] ولا ننسى أن الأسرة الأيوبية كردية الأصل وجل جيشها كان من الأكراد.

العدوية في العصر المملوكي

شجع الاستقرار والرخاء في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي إلى هجرة كثير من الأكراد من أتباع الطريقة العدوية، ولا ننسى شيوع التصوف في ذلك العصر سمح بوفود الطرق الصوفية وممارسة شعائرها في مصر بلا قيود،[٧١] أضف إلى هذا، أو قل أهم من كل هذا أن أتباع الطريقة العدوية من الأكراد كانوا يتميزون بالشجاعة وشدة البأس والفروسية وتفوقهم في مهارة الرمي، حتى قيل لهم بدلًا من: مريدي الشيخ عدي (مردة الشيخ عدي)، ونظرًا لحسن بلائهم وصفهم معاصروهم أنهم من خيرة جند المسلمين ومن أشد أنصار الإسلام، فليس غريبًا أن يعتمد المماليك عليهم ويقربوا شيخهم، وما ينبغي أن ننسى ما امتدحهم به شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالة الوصية الكبرى التي وجهها لهم حيث قال: 'وما زال في عسكر المسلمين المنصورة وجنوده المؤيدة منكم من يؤيد الله به الدين ويعز به المؤمنين[٧٢].'

وكانوا يضفرون شعورهم ويسدلونها على أكتافهم ويلبسون على رؤوسهم قبعات مخروطية عالية ويلبسون السراويل ولباسًا أبيض، وقد استطاع العدوية استمالة بعض أمراء دمشق من المماليك كالأمير بدر الدين بكتوت الأقرعي وانتفعوا به[٧٣] وكذا الأميرين عز الدين أيبك الكرجي أمير علم، وناصر الدين محمد بن عز الدين أيدمر النائب.[٧٤]

ومهما يكن من الأمر، فإن انحراف أتباع الطريقة العدوية عن المسلك الصوفي المألوف لدى الجمهور؛ نظرًا للتحولات التي أدخلها الشيخ الحسن بن عدي من الغلو الشديد في يزيد وتبجيل الشيخ عدي؛ قد صار مصدر قلق للمحافظين من جمهور المسلمين، وتغيرت نظرة الفقهاء إليهم تبعًا لذلك، فأنكروا عليهم أمورهم، فألفوا الكتب والرسائل التي ترصد ضلالاتهم وتفند ترهاتهم، فألف الشيخ الإمام أبو فراس الجبي كتابًا للرد على الرافضة واليزيدية، يؤاخذهم فيه على محبتهم ليزيد وإطرائهم له والغلو فيه؛ ويعيب عليهم عدم صلاتهم خلف أئمة الجمهور؛ وتأخرهم عن صلاة الجمعة وقولهم أن النقط والتشكيل من القرآن.[٧٥]

وهي نفس البواعث التي جعلت شيخ الإسلام ابن تيمية – المعروف بشدّته على مخالفيه وتصديه الصارم لأهل البدع والسخافات والخرافات – يكتب لهم رسالة تعرف بالوصية الكبرى أو بالرسالة السنية إلى الطائفة العدوية، عارضهم فيها معارضة هينة لينة، بالتلميح وبالتصريح تارة وبالترغيب والترهيب تارة أخرى، وسطر فيها مؤاخذاته العقائدية، كما جادلهم فيها بالحجة وناضلهم بالوعظ الحسن، ليؤلف قلوبهم دون أن يسفه آراءهم صراحة، أو يتعرض مباشرة إلى النيل من شيوخهم، وإنما ذكر من حسناتهم كونهم ينتسبون لأهل السنة، ونوه بصريح العبارة أن منهم أولياء

لله متقين، وفيهم أهل مجاهدة وصلاح، ومنهم شجعان يقاتلون مع جيش الإسلام، كما أشاد بشيخهم الأكبر وقدوتهم (عدي بن مسافر) وترحم عليه بما يثلج صدورهم، فوصفه (بالشيخ العارف القدوة)، وامتدح أيضًا بعض خلفائه الأدنين.[٧٦]

كما بين لهم شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا أن ما داخلهم من غلو ومن مظاهر شرك؛ قد فشت فيهم منذ أيام شيخهم الحسن بن عدي ابن صخر، وحضهم إلى التمسك بالكتاب والسنة الصحيحة دون زيادة أو نقصان، ونهاهم عن الأحاديث الموضوعة والقول بالحلول والاتحاد وتلك الحماقات والآراء الشاذة، وحذرهم من الغلو في الصالحين والسجود لهم؛ وتجاوزهم الحد في الشيخ عدي الأكبر كالعكوف على ضريحه وجعله قبلتهم وحجهم، كما نبههم إلى ترك كل ما من شأنه تأجيج الفرقة بين المسلمين؛ كالانتساب إلى الطرق وكموالاة فريق والإيغال في معاداة فريق،[٧٧] ودعاهم إلى الوسطية في تعصبهم لبني أمية، والاقتصاد في أمر الصحابة والإمساك عما شجر بينهم من خلاف، وحضهم على القصد والتخفيف من غلوائهم وعداوتهم لآل البيت، كما نهاهم عن السرف في محبة وإطراء يزيد بن معاوية؛ كقولهم عنه أنه من كبار الصحابة ومن أولياء الله، واعتقاد بعضهم أنه نبي من أنبياء الله، وكقولهم: 'من وقف في يزيد وقفه الله على نار جهنم'، وبين لهم رأي أهل السنة والجماعة في يزيد من أنه ملك من ملوك الإسلام لا يحب ولا يسب.[٧٨]

وأغلب الظن أن أتباع طائفة العدوية الصوفية الذين كانوا ينتسبون إلى أهل السنة والجماعة وانحرفوا رويدًا رويدًا، حتى تلاشى اعتدالهم مع الزمن، وحل محلهم الغلاة حتى أتى عليهم حينٌ من الدهر رفضوا الإسلام، وتحولوا في مرحلة لاحقة إلى ديانة ليس بينها وبين الإسلام صلة،[٧٩] ولأمر لا نعرفه انتهت الطريقة من مصر وآلت الزاوية مبناها وحقوقها ومنافعها إلى جماعة القادرية من ذرية الشيخ عبد القادر الجيلاني الذين نزحوا إلى مصر ونزلوا بهذه الزاوية، وتولوا شئونها والنظر على أوقافها، وكان من عاداتهم دفن موتاهم فيها، وسميت منذ ذلك الحين بالزاوية القادرية، وقد تلقينا إشارة مهمة من حلب تفيد أنهم كانوا موجودين فيها في النصف الأول من القرن التاسع الهجري، وذلك كما ورد في نقش كتابي لإنشاء الزاوية التي أنشاها الشيخ أحمد بن موسى السعدي الحنفي القصيري جوار جامع بانقوسا سنة (٨٢٨هـ/ ٢٤-١٤٢٥م) باسم الأيايزيدية نصه كالتالي:

١- أنشأ هذا الرباط فقير رحمة ربه الكريم أحمد بن موسى السعدى على نفسه مدة حياته

٢- ثم من بعده على الفقراء الأيايزيدية الغرباء الآفاقية[٨٠] بتاريخ شهور سنة ثمان وعشرين وثمانماية[٨١]

إشكالية بناء الزاوية العدوية بهذا النمط من البناء في ذلك التوقيت من التاريخ

هذه قضية تجاهلها أو عُميّت عن معظم الذين درسوا الزاوية العدوية بالقاهرة على كثرة من تناولها بالبحث والاستقصاء؛ فهذه الزاوية تدل على أن لبانيها أو لأتباعها في ذلك الوقت من القوة والمنعة والثراء والسلطان على نفوس الناس ما يخول لهم بناء هذه الزاوية ذات البناء المتقن على نسق عمائر الملوك والأمراء، وذات القبة العالية المبنية التي تشعر بالهيبة والجلال، كما تدل على وئام الباني أو البناة مع السلطة ما لا سبيل إلى نكره.

فليس من اليسر، بل ليس من الممكن فهم بناء قبة الشيخ زين الدين سنة (٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م) وتطويرها وتجديدها؛ حيث تم بناء القبة بعد سبعة أشهر من وفاة الشيخ زين الدين مما يدل أن البناء له تمويل، فهل يتسنى له ذلك في وقت سخطت الدولة هذه الطائفة – على حد زعم كثير من المؤرخين والباحثين – فهم نقلوا عن قدامى المؤرخين أن الدولة حاربت الطائفة العدوية وسجنت شيخها زين الدين؛ لأنه حاول إرجاع الملك للبيت الأموي، وأن الشيخ سجن في قلعة دمشق سنة (٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) ومات بها، وقبض أيضًا على ابنه وخليفته الشيخ عز الدين وسجنته في قلعة دمشق، وتتبعت العدوية القاطنين في القرافة بالقاهرة بالقبض والسجن[٨٢] سنة (٧٣١هـ/ ١٣٣٠م)، كل ذلك في وقت قريب أو قل معاصر لتجديد الزاوية.

فكيف يمكن فهم هذا وتأويله؟ سؤال ينبغي أن يلقى، وأن نجتهد في الإجابة عنه.

ولا غرابة في أن يذكر الباحثون رواية القبض على الشيخ زين الدين والتضييق على الطائفة العدوية في مصر؟ وعذرهم أن المؤرخين وأصحاب الأخبار القريبين عهدًا من تلك الأحداث؛ تحدثوا أن شيخ العدوية (زين الدين) ترك العراق وجاء إلى كنف المماليك في الشام، فلقي من التأييد والاحترام ما لا مزيد عليه، ومنح رتبة الإمارة، وعاش هناك عيشة الملوك، بل انغمس في اللذات

والنعيم من اقتناء الجواري والغلمان والملابس الملوكية والأسمطة الفاخرة والأواني الذهبية والفضية ومظاهر الزينة التي يحرص الملوك على إظهارها؛ حتى صار فتنة للنساء وللرجال جميعًا.

ونقل ابن فضل الله العمري خبرًا يوضح مدى قوة ونفوذ شيخ العدوية، نقله عن شيخه محمود الحلبي الكاتب، قال إنه أُرسل ذات مرة إلى الشيخ زين الدين هذا مع الأمير عز الدين سنجر الدوادري؛ لتحليفه على يمين الطاعة حين تولى الأشرف خليل بن قلاوون السلطنة؛ فدخلا عليه وهو جالس في عجرفة كالملك في قلعته لم يحفل بهما، وقام الأمير سنجر بتقبيل يده وظل واقفًا بين يديه لم يجرؤ على الجلوس إلى أن أمره الشيخ بعد وقت طويل؛ وحين جلس الأمير؛ جلس على ركبتيه تأدبًا، وفي نهاية الزيارة أنعم الشيخ عليهما بما يقارب خمسة عشر ألف درهم.[٨٣]

وفي الحق أن الشيخ زين الدين المشار إليه كان صاحب مطامع ومنافع، وجموح مطامح، فقد رام استرجاع الملك للبيت الأموي في شخصه، ولقي تأييدًا واسعًا من الأكراد واتسعت دعوته التي بثها بينهم حتى خافه الحكام، كما استطاع استمالة بعض أمراء المماليك في دمشق ومناهم بالإقطاعات والنيابات الكبار، كالأمير عز الدين أيبك الكرجي أمير علم والأمير ناصر الدين محمد بن عز الدين أيدمر النائب، ولكن عيون السلطة كانت له بالمرصاد، حيث قبض عليه وسجنته ومات في الحبس.

أما ابنه وخليفته عز الدين فقد كان يطلق عليه (أميران) فقد أعطي رتبة الإمارة بدمشق، ثم بصفد ثم بدمشق، ثم ترك ذلك وانقطع بالمزة، ورام كما رام والده في الملك، وبث دعاته بين الأكراد فجاؤوه من كل قطر بصفايا أموالهم تقربًا إليه، باعوا أموالهم بالرخيص واشتروا الخيل والسلاح وآلات الحرب بالغالي استعدادًا للثورة، وقيل إنهم كانوا يرمون حكم مصر، وقيل إنهم يغون حكم اليمن، فحدث بسبب ذلك قلق وخوف شديد، لكن الأمير تنكز الناصري نائب دمشق كان لهم بالمرصاد، حيث طالع السلطان بالأمر واستأذنه في القبض على الشيخ وأتباعه، وقد أتيح له ذلك واعتقله في قلعة دمشق سنة (٧٣١هـ/ ١٣٣٠م)، وفرق جموعه وقُبض على أتباعه الذين كانوا بالزاوية العدوية في القرافة بالقاهرة، وظل شيخهم في الحبس حتى مات.[٨٤]

وإذا كان الشيخ زين المدفون بالزاوية العدوية هو بطل هذه القصة حقًا والمغضوب عليه – ونحن نعتقد أنه ليس بحق – فكيف السبيل إلى فهم بناء مقام له ثم زاوية لأتباعه؟ وكيف السبيل إلى فهم النعوت الجليلة التي وردت في النقوش الكتابية بالزاوية؟ وهي نعوت تدل على التقوى والورع والزهد وهي: (السيد الإمام العالم العارف الشيخ..) و(السيد الإمام العالم العارف المحقق إمام الموحدين تاج العارفين..) و(السيد الإمام القدوة شيخ شيوخ الإسلام شيخ الطريقة ومعدن الحقيقة فريد العصر شرفت بإقدامه مصر أوحد شيوخ المسلمين..)، وكيف فهم الدعاء الذي يتبع اسمه: (قدس الله روحه ونور ضريحه)، وكيف سمح له أن ينعت بهذه الألقاب في عاصمة الدولة وأن تنقش هذه الألقاب على مبنى غير بعيد من قلعة الجبل مركز الحكم؟ وكيف تواتر لدى بعض المؤرخين المهتمين بشيوخ الطرق الصوفية أن ينعتوه بما نعته به السخاوي الذي قال فيه: 'الشيخ الصالح العارف المحقق الرباني شيخ مشايخ الإسلام زين الدين أبو المحاسن يوسف...) وقال عنه: (كان له بداية ونهاية، وتحقيق وتدقيق ومعرفة تامة بطريق القوم،[٨٥] ويعرف بصاحب الحورية)[٨٦]' لعلك تعلم الآن مدى التناقض بين الواقع وما يرويه المؤرخون، فأيسر النظر والتفكير في ذلك يشير إلى أن هناك لبسًا ما فلسنا نطمئن إلى شيء من هذا.

والشيء المحقق أن البحث أثبت شيئًا جديرًا بالعناية، أثبت أن المؤرخين التبس عليهم في هذا الأمر، ووهموا في هذه المسألة، فهم خلطوا بين الشيخ الصوفي الكردي (زين الدين يوسف العدوي الأموي) المدفون في الزاوية العدوية بالقاهرة وبين الشيخ الكردي السياسي (زين الدين العدوي الأموي) الثائر طالب الدنيا والطامع في الملك، نعم كلاهما سليل الأسرة العدوية الأموية، ولكن نسب زين الدين السياسي الثائر هو كالتالي: (زين الدين بن عيسى بن أبي البركات صخر بن صخر بن مسافر)، ذكر اليونيني خبر اعتقاله في حوادث سنة (٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) بما نصه: 'وفي يوم عرفة قبض بدمشق على زين الدين من ذرية الشيخ عيسى ابن أبي البركات، وأبو البركات هو أخو سيدنا عدي بن مسافر – رحمة الله عليه، وسير إلى الديار المصرية، وصحبته أميران من أمراء دمشق مقبوض عليهما أيضًا حسبما ورد به مرسوم الملك المنصور سيف الدين قلاوون من الديار المصرية[٨٧].'

أما الشيخ زين الدين يوسف نزيل القاهرة والمدفون بالزاوية العدوية فهو شيخ زاهد من طلاب الآخرة ومن كبار الصالحين الأتقياء في عصره؛ ومن أفاضل السالكين المجتهدين في زمانه، كان له عبادات وسياحات ونسبه كالتالي: (زين الدين يوسف بن محمد

ابن الحسن بن عدي بن صخر بن صخر بن مسافر)، رحل مع كثير من أتباع طريقته من العراق إلى القاهرة لما ما حل بأبيه وجده من الحروب وما آل إليه حال العدوية من التشريد في البلاد، وفي القاهرة لزم جانب الانقطاع والعلم والتقوى، وقصر جهده على الوعظ والإرشاد، كما ترك ما كان عليه جده (الحسن) من الغلو، وقد تأكد للدولة براءة ساحته وحسن قصده، فخلوا بينه وأتباعه وبين إقامة الشعائر واصطفاء المريدين، حتى توفي في سنة (٦٩٧هـ– ١٢٩٧م) ودفن في مكان الزاوية العدوية بالقرافة.

وما ظنك بشيخ عراقي قدم إلى مصر فأكرمت مثواه وحاز فيها على لقب (شيخ مشايخ الإسلام)، معناه كبير الشيوخ أو الرئيس الأعلى لشيوخ الصوفية في مصر والشام وسائر أقاليم الدولة، وهو لقب فخري له قيمته واعتباره، يتقدم صاحبه على غيره من شيوخ الخانقاوات والطرق في المناسبات وفي مجلس السلطان، وربما قيل لصاحبه (شيخ شيوخ الإسلام أو شيخ شيوخ العارفين)[٨٨] ويكون صاحب هذا اللقب شيخًا للخانقاه الصلاحية (سعيد السعداء)،[٨٩] التي وقفها السلطان صلاح الدين لغرباء الصوفية الآفاقية (القادمين من الآفاق)، ومن مزايا صاحب هذا اللقب أن ينعت في المكاتبات بالنعوت التالية: 'المجلس العالي، الشيخيّ، الكبيريّ، العالميّ، العامليّ، السالكيّ، الأوحديّ، الزاهديّ، العابديّ، الخاشعيّ، الناسكيّ، المفيديّ، القدويّ، الإماميّ، النّظاميّ، الملاذيّ، جلال الإسلام والمسلمين، شرف الصلحاء في العالمين، شيخ شيوخ الإسلام، أوحد العلماء في الأنام، قدوة السالكين، بركة الملوك والسلاطين[٩٠].'

معنى هذا أن الشيخ زين الدين أبا المحاسن يوسف لما قدم مصر؛ نزل في خانقاه سعيد السعداء وهي خانقاه غرباء الصوفية من العرب والعجم، وتولى مشيختها إلى جانب مشيخة العدوية ومشيخة الشيوخ، ومن هنا حاز على لقب (شيخ مشايخ الإسلام)، وأنت ترى أن الشيخ نعت أيضًا في نقوش الزاوية بلقب أوحد شيوخ المسلمين وشيخ الطريقة وغيرها من ألقاب الجلال والصلاح.

وهكذا يتضح لنا أن هناك خلطًا بين شيخين من شيوخ العدوية كلاهما يدعى زين الدين ويتضح أن الدولة المملوكية لم تحارب الطريقة العدوية الصوفية، بل سمحت للطائفة العدوية بممارسة شعائرهم وتجديد زاويتهم وأن يضيفوا عليها، وإنما حاربت الأطماع والنزعات السياسية لبعض أفراد البيت العدوي، كما يمكن فهم السماح بتجديد الزاوية أنه نوع من أنواع تأليف القلوب والحرص على ولاء أتباع الطريقة العدوية؛ لأنهم كانوا محاربين مشهورين بالشجاعة والفروسية وقوة البأس، وقد رأيت كيف امتدح ذلك فيهم شيخ الإسلام ابن تيمية.

وأي غرابة في أن تصانع الدولة المملوكية أولئك وهؤلاء من أتباع الطريقة العدوية القاطنين على تخوم بلاد المغول في العراق والمنتشرين في مصر والشام جميعًا؟

ولسنا في حاجة أن نقف بك عند طبيعة الحياة الدينية في العصر المملوكي المصبوغة بصبغة التصوف – الذي تعاظم دوره في هذا العصر واتسع نطاقه اتساعًا كبيرًا، حتى أصبح هو التدين الفعلي للدولة، وشاع الاعتقاد في شيوخ الصوفية وتقديسهم على اعتبار أنهم أولياء لله، ووجد كل من الحكام والشيوخ والمريدين والعوام مآربهم في التصوف – فأنت تعرف من تفصيل ذلك ما يغنينا عن مثل هذا الاستطراد، وليس أدل ذلك العمارة المملوكية المتنوعة التي تزين القاهرة من خوانق وربط وزوايا والأوقاف الكثيرة المرصودة عليها[٩١] ومعنى كل هذا أن الدولة لم تكن ضد صوفية العدوية.

وواضح جدًّا بعد كل هذا أن هناك شخصين مختلفين ومتعاصرين بلقب زين الدين كليهما من الأسرة العدوية، أحدهما سياسي ثائر حاربته الدولة، توفي سنة (٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، والآخر صوفي زاهد اجتبته الدولة، توفي سنة (٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م)، وهذا أصل اللبس ومنشأ التخليط ومصدر الوهم عند المؤرخين، فقد جعلوهما شخصًا واحدًا، ونقل الباحثون عنهم فوقعوا في مثل ما وقعوا فيه.

إشكالية منشئ الزاوية

ولكن الشيء الذي يدعو إلى الاستغراب؛ إنه رغم ضخامة وثراء المبنى؛ وبنايته بأجود الأحجار وزخرفته بطريقة غاية في الروعة وفق الطراز البنائي الفخم السائد آنذاك؛ فإن النقوش والمصادر التاريخية الأخرى لم تكشف لنا عن اسم راعي البناء سواء أكان من سلطان أو أمير أو أو وجيه أو شيخ من شيوخ الطريقة العدوية، ولا يمكن بالطبع أن يكون مثل هذا البناء المتناسق أنشئ عبثًا بدون راع وبدون منظومة خططت ورصدت الأموال وأعدت المهندسين والفعلة، ثم راجعت الأعمال، ثم بنت وأتمت البناء، ثم رضيت عن البناء آخر الأمر، ثم أضافت إليه جزءًا جديدًا، وبالطبع لا يمكن أيضًا أن ننسب بناء الزاوية إلى الشيخ زين الدين يوسف فهذا خطأ وقع فيه بعض الباحثين،[٩٢] لأن الشيخ كان متوفيًا منذ ثمان وعشرين سنة؛ حين شرع في تأسيس هذا البناء.

فإذا كان منشئ الزاوية غير معلوم؛ لم يذكر في النقوش وكتب المصادر التاريخية؛ فربما تم البناء من إيراد الوقف وأموال النذور والهبات العامة أو من ميرات وتبرعات المحسنين للزاوية وأهلها، وأنت ترى انتهاء الشريط الكتابي الذي يجري على حوائط الأواوين والصحن داخل الزاوية بالنص التالي: 'اللهم وأعد بركات القرآن العظيم على من أنشأ هذا المقام والنقباء والخدام ببركة سيدي عد[ي]'، وهو نص مهم، ولكن كيف يمكن فهمه؟ هل المقصود بـ(من أنشأ) فردًا أم جماعة؟ لو كان فردًا فلماذا أحجم عن ذكره؟ ولو كانوا جماعة فما السبب في عدم ذكرهم، وإضافة لفظ الإنشاء إليهم؟ وإذا الراجح أنهم جماعة فهل السبب في عدم ذكر أسمائهم أنهم متساوون في الرتب ليس لأحد منهم فضل خطير في البناء؟ أم أن عدم ذكرهم نوع من الزهد؟

ولكن هل يمكن أن نستطرد لنلتمس منشئ الزاوية – ولو على سبيل الترجيح – دون أن نفرط ولو للحظة واحدة في الاحتياط المشوب بالحذر والحذر المشوب بالاحتياط؟

أول ما أفجؤك به وأكاد أقطع به أن هذا المبنى المؤرخ (٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م) أنشئ بهمة أحد خلفاء الشيخ زين الدين يوسف، وهو الشيخ محمد بن أحمد العدوي المتوفى سنة (٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م)، وقد دفن بالزاوية، وكان قبره موجودًا على يمين المحراب إيوان القبلة ملاصقًا لجدار القبة، وكان مشهورًا بقبر السيد محمد الواقف، وهو القبر الذي أشار إليه السخاوي بقوله: 'وبهذه التربة قبر بإيوان شرقي باب القبة، به الشيخ الصالح العارف بهاء الدين أبو الفتح محمد بن أحمد العدوي، أحد خلفاء الشيخ الصالح زين الدين أبي المحاسن يوسف، توفي في ثالث عشري ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وسبعمائة[٩٣]،' وقد بقي القبر المذكور حتى رآه العلامة أحمد تيمور باشا،[٩٤] وقيل له أنه قبر السيد محمد الواقف، وأنه أطلق عليه ذلك لوقفه أوقافًا على الزاوية – على ما زعم – القائلون لأحمد تيمور باشا.

ويأتي ترجيحنا المشوب بالاطمئنان لأن القدماء استخدموا مشتقات كلمة الوقف (وقف وأوقف ووقفه)[٩٥] على وجهين، مرة بمعنى حبس العقارات والأراضي والحوانيت والمعاصر وغيرها؛ وتأبيدها على ما وقفت عليه من جهات البر،[٩٦] وهذا المعنى لا نريده الآن.

ولكنهم في المقابل استخدموا (وقف وأوقف ووقفه) أيضًا كناية وإضمار للفظ إنشاء المبنى وتخصيصه لوظيفة معينة، وقالوا فلان واقف البناء الفلاني أي منشئه وبانيه، إذ إن إنشاء تلك العمائر هو لأجل قصرها ووقفها للصلاة أو لتدريس العلم الشريف على فقهاء مذهب معين أو طائفة صوفية معينة أو لوجه من وجوه البر المختلفة على حسب ما تقتضيه وظيفة المنشأة، كقول الإمام الذهبي عن الوزير الفاطمي: (... طلائع بن رزيك الأرمني المصري الرافضي واقف جامع الصالح الذي بالشارع)[٩٧] يعني ضمنيًّا منشئ جامع الصالح طلائع، وكما يذكر النعيمي المدارس ودور الحديث والقرآن وبعض المساجد بدمشق يقول عن المدرسة أو الجامع: منشئها فلان، وواقفها فلان[٩٨] وكلاهما عنده بمعنى واحد، ومثال ذلك أيضًا ما أشار إليه السخاوي أن الإمام بدر الدين العيني المؤرخ المعروف كان يصرح بكراهة الصلاة في الأزهر لكون واقفه رافضيًّا سبابًا[٩٩] يريد المعز لدين الله الفاطمي المنشئ.

ولما كانت النقوش الكتابية تعتبر انعكاسًا واضحًا لثقافة العصر الذي كتبت فيه؛ فقد جاء في كثير منها لفظ الوقف كناية عن الإنشاء والتخصيص، وشاع هذا الاستعمال وصار بديلًا للفظ الإنشاء وحمل مع كثرة الاستعمال ما حملته كلمة الإنشاء ثقة بفهم المخاطب، فبعد البسملة يقال: وقف أو أوقف هذه المدرسة أو الخانقاه الفلانية فلان الفلاني على فقهاء المذهب الفلاني أو على صوفية كذا وغير ذلك، مما جعل بعض الباحثين يتوهمون وصنفوا هذه النقوش التي تبدأ بهذا اللفظ؛ ضمن نقوش الأحباس التي تتناول الأوقاف المرصودة للإنفاق على صيانة المنشآت ودفع مرتبات الموظفين والصرف على العملية التعليمية وقراءة القرآن والحديث وكسوة الطلاب ورعاية الأيتام وغير ذلك من وجوه البر وصنوف الخير.[١٠٠]

لعلنا الآن فهمنا عبارة: (قبر السيد محمد الواقف) التي كان الناس يطلقونها على صاحب القبر المذكور، فربما يقصدون به منشئ البناء، خصوصًا أن حياته ووفاته معاصرين لوقت البناء.

وإن صح ما نذهب إليه وهو عندي أدنى إلى الصواب، مع التدرع بشيء من الاحتياط والشك غير قليل، يكون قد ظفرنا باسم منشئ هذا البناء.

إشكالية نسب الأسرة العدوية كما عالجتها النقوش وكتب المصادر

يجب أن نلاحظ قبل كل شيء أن أهل التاريخ وجمهرة كتاب التراجم يتكثرون ويختلفون في نسب الشيخ عدي بن

مسافر اختلافًا يوشك أن يكون شديدًا، وذلك راجع – فيما يظهر – إلى أن العناية بالبحث عنه جاءت بعد فترة طويلة من وفاته حين استفحل أمر أتباعه، فكانت المعلومات عنه قليلة، ومن المعروف أن الشيخ عدي الأكبر لم يتزوج ولذا عرف بالأعزب، وأنه دعا الله أن يجعل ذريته في ذرية أخيه صخر بن مسافر،[101] ومن ثم فإن نسب الشيخ عدي ثابت في نسب أخيه وابن أخيه بدءًا من جد الأسرة (مسافر)، والمؤرخون مجمعون على اسم[102] الشيخ عدي، يطيلون في نسبه أحيانًا أو يقتصرون على بعض آبائه، ولكنهم يختلفون في ذلك بعض الاختلاف، ففي نسخة كتاب الجلوة المحفوظ بأمريكا هو: (شرف الدين أبو الفضائل عدي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان بن الحكم).[103]

على هذا النسب يكاد يتفق أو يكاد تتفق الكثرة الكثيرة من المؤرخين القدماء والباحثين الذين كتبوا بآخرة،[104] وهو نفس النسب الوارد في نسب قريبه زين الدين يوسف في نقش إنشاء القبة القديمة المؤرخ بسنة (٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م)، وفي نقش التابوت الخشبي الذي كان بالقبة نفسها، والذي أكلته النيران في أوائل القرن الماضي، وفي الشريط الكتابي الذي يؤطر طاقية محراب إيوان القبلة بالزاوية المشار إليها (٧٢٥ هـ/ ١٣٢٥م)، وهي نقوش كما تعلم لا تمحى ولا تزول بتلك المؤثرات التي تمحو وتزيل الكتب ولا تخضع لأهواء وأغلاط النساخ.

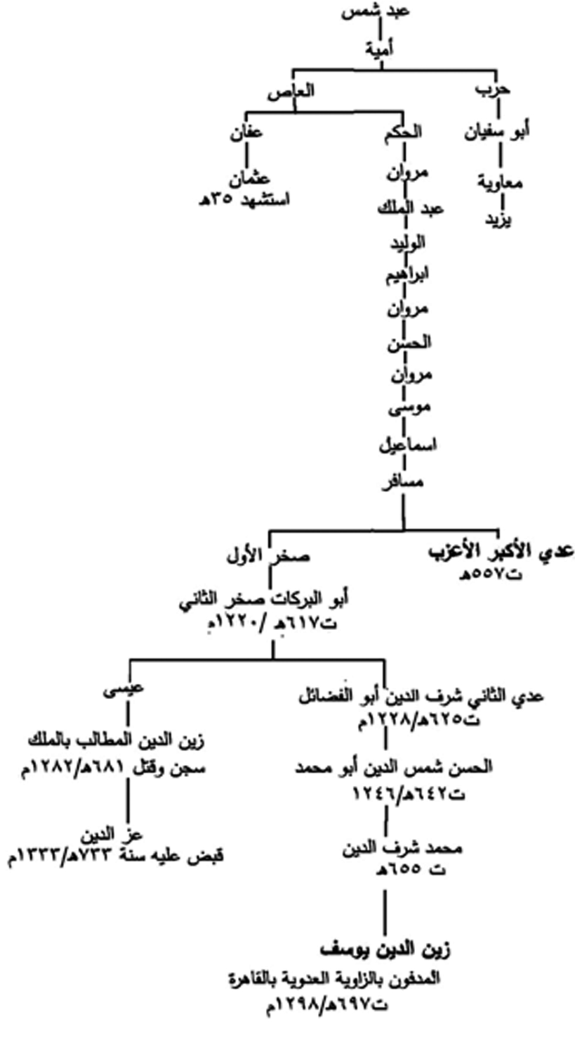
ورغم ذلك لم يستخدم أحد النقوش وسيلة لإثبات نسب الشيخ عدي، وهو النسب الأموي الصميم الذي حرص كاتبو النقوش على إثباته، لأنه أهم ما في النقش، أو لعل النقوش كتبت في الأساس لأجل كلمتي (الأموي القرشي)، وانظر كيف فضل أن يزخرف عقد المحراب شريط كتابي به هذا النسب و لم يزخرفوه بآي من القرآن الكريم كما تعودنا أن نرى؛ لأن الأسرة العدوية لم تسد في الأكراد و لم تظهر عليهم إلا بهؤلاء الصفوة من خلص قريش الذين جاء ذكرهم في النقوش، وهو نسب كريم رفيع لا تشوبه نقيصة ولا تتعلق به آفة من الآفات التي تتعلق بالأنساب.

ولكن النقش الكتابي الموجود في الباب المتقدم والمؤرخ بسنة (٧٣٦ هـ/ ١٣٣٥م) يزعم رواية أخرى لنسب الشيخ عدي، وهذه الرواية نجدها عند جماعة أخرى من المؤرخين، فابن تيمية استصغر عدد النفوس مع طول الفترة الزمنية بين الشيخ عدي المولود سنة (٤٦٥هـ/ ١٠٧٣م) وبين مروان بن الحكم المتوفى سنة (٦٥هـ/ ٦٨٤م)، وقال بعد ذكر النسب: (شرف الدين أبو الفضائل عدي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان بن الحكم، وهذا كذب قطعًا فإنه يمتنع أن يكون بينه وبين مروان بن الحكم خمسة أنفس فقط)،[105] وتقدير الشيخ ابن تيمية صحيح لأن مروان بن الحكم مات وله ثلاثة عشر ولدًا ليس منهم من يسمى الحسن،[106] ولذا افترض بعض الباحثين ضبط نسب الشيخ عدي الأكبر كالتالي: 'عدي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان بن إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم'،[107] وهي توافق ما جاء في نقش المدخل المتقدم النقش وتوافق رأي ابن تيمية [108] كما في سلسلة النسب في الشكل المقابل.

ومن المؤرخين من غالى في نسب عدي بن مسافر وأوصله إلى عدنان جد النبي ﷺ قال: '... بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان'،[109] ومن الجائز أن يكون هذا ما أراده اليزيدية من إيصال نسب الشيخ عدي إلى آدم أبو البشر لتقديس شخصه[110] ليكون من صفو عبد مناف وقصي ومضر وعدنان والعرب وصفو الإنسانية كلها.

ويلاحظ في نقش المدخل المتقدم تخليط في النسب وتكلف والتواء، وهو الأسلوب نفسه الذي اتبعه ابن فضل الله العمري؛ حيث نسب عدي بن مسافر إلى الفرع المرواني من بني أمية ثم إلى الفرع السفياني في وقت واحد، وهما بيتان مستقلان لا يلتقيان إلا في الجدود، وأغلب الظن أن تفسير ذلك الاضطراب يرجع إلى أن قواعد المنهج العلمي السليم ومنهج النقد في العصور الوسطى لم يكن قد بلغا أجلهما بعد، فمثلًا كان إذا اجتمع لدى مؤرخ روايتان مختلفتان كان يجمع بينهما في كثير من الأحيان دون نقد أو ترجيح أو توفيق بينهما، كقول أحدهم عن الحاكم الفلاني: 'كان ظلومًا غشومًا عادلًا رحيمًا'.

ومهما يكن من شيء، فقد ساق ابن فضل الله العمري نسب الشيخ كالتالي: 'عدي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان الهكاري مسكنا القرشي الأموي من ولد معاوية بن أبي سفيان'،[111] ومن الجائز أن ابن فضل الله العمري قصد بذلك؛ لما كان يجيزه القدماء من اعتبار الأخوال آباءً يضافون إلى آباء الأصلاب.



وعلى هذا النحو من التخليط والتكلف ومن الأغراض التي كانت تدعو إلى وضع الأنساب وانتحالها، ورد نسب الشيخ عدي ابن مسافر في نقش بوابة المبنى المندثر الذي بني أمام الزاوية العدوية والمؤرخ بسنة (٧٣٦ هـ/ ١٣٣٥م) هكذا: '.... بن مسافر ابن إسماعيل بن موسى بن عبد الملك بن الوليد بن مروان بن عبد الملك بن إبراهيم بن الوليد بن الحكم/// بن عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم /// بن سليمان بن عبد الملك/// بن معاوية بن يزيد بن معاوية بن صخر بن حرب بن مرة بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وهو جد النبي صلى الله عليه وسلم وتضاف النسبة إلى الإمام عثمان بن عفان رضى الله عنه'.

ونحن لا نستطيع أن نقبل هذا الكلام إلا باسمين، وألا نقف منه إلا موقف التحفظ والتحرج والتردد والشك، بل لا نقبله بحال من الأحوال، فأنت ترى نسب الشيخ عدي بن مسافر في هذا النقش يخالف المنطق ولا يستقيم ويناقض ما اشتهر عند جمهرة المؤرخين وكتاب السير والإخباريين، فقد جعل نسب الشيخ عدي أولاً في ذرية عبد الملك بن مروان في بعض الاضطراب، ثم جعله في ذرية عمر بن عبد العزيز بن مروان، ثم التوى به إلى سليمان بن عبد الملك ابن مروان فجعله من آباء عمر بن عبد العزيز وسليمان وعمر ابني عمومة، ثم عطف به فأدخله في البيت السفياني لينتهي به إلى يزيد ابن معاوية بن أبي سفيان، واستمر في إثبات هذه التصفية لتعظيم شأن آل عدي من ناحية نسبه من قريش، حتى وصل بهم إلى عبد مناف جد صنوي قريش (بني أمية وبني هاشم)، وهما رهط النبي من ناحية؛ واستقر الملك فيهم من ناحية أخرى، وهما يمثلان روح العروبة الحقيقية وعصرهما عصر البطولة العربية.

والأمر لا يقف عند هذا الحد، فلم يترك النقش الفرصة تمر دون أن يذكر القرابة بالخليفة عثمان بن عفان ﷺ، فلا غرابة إذن أن يرد النسب بهذا النسق في كتب المتأخرين طالما كتب به على الحجر في تاريخ متقدم، فقد كتب بمثله مجير الدين العليمي (ت٩٢٦ هـ/ ١٥١٩م) صاحب كتاب: (التاريخ المعتبر في أنباء من غبر)؛ في نسب الشيخ عدي؛ حيث جعل مروان بن الحكم بن أبي العاص من أولاد عثمان بن عفان بن ربيعة بن عبد شمس،[١١٢] وواضح أن البيت السفياني غير البيت المرواني، وواضح أيضًا أن كل هذا مرده أخذ— بقصد أو بغير قصد— النسب إلى يزيد بن معاوية الذي تنسب إليه الطائفة اليزيدية والذي يرون فيه الإمامة والصلاح.

ونحن لا نثق في ذلك ولا نطمئن إليه ولا نعتد به، وهو من قبيل التكلف والغلو الواضح الذي لا يقبل شكًا ولا جدالًا، وهو أمر يستحق الدرس والبحث عنه وعن أمثاله ويستوجب العناية ويدعو إلى كثير من التفكير.[١١٣]

واستطراد آخر لا بأس به لأنه يتعلق بما نحن فيه، وهو مسألة أثارها بعض الباحثين وتلعب النقوش الكتابية دورًا كبيرًا في حسمها؛ وهو أنه على الرغم من إجماع أكثر المؤرخين والباحثين على نسب الشيخ عدي الأموي القرشي العربي؛ فإن بعض الباحثين لا يرون هذا الرأي ولا يعتدون بما ورد في كتب المصادر ولا في النقوش، وأغلب أنصار هذا المذهب باحثون محدثون أكراد ويزيديون، دراساتهم الحديثة تهدف إلى إعادة النظر في بعض رموز الديانة اليزيدية وطقوسها وتراثها الموروث، سعيًا إلى زعزعة القناعات

الراسخة حول الفرقة اليزيدية، فهم لا ينفون النسب الأموي العربي للشيخ عدي بن مسافر فقط؛ وإنما ويرجعونه إلى أصول عرقية يزيدية كردية، مخالفين بذلك جمهرة كتاب السير والتراجم، كما ينفون علاقة ديانتهم بيزيد بن معاوية، وينفون أيضًا تقديس اليزيدية للشيطان المسمى عندهم بطاووس ملك.

كما تسعى هذه الدراسات أيضًا إلى تثبيت أحكام وقناعات موضوعة سلفًا، وإلى إرباك حقائق التاريخ بقصص وأسانيد ضعيفة السند لا أساس لها، ومعتمدين في دراساتهم على التخمين والانتقائية والاستنتاجات التي لا تؤيدها الأدلة والشواهد والروايات التاريخية بشكل قطعي، ومستندين أيضًا إلى أمور لا تستقيم للعقل والنقد ولا ينبغي أن تقام عليها أمور التاريخ، وكل هذا محاولة منهم إثبات أن كل ما نسب إلى اليزيدية من انحراف عقائدي لا يعدو – على حد زعمهم – أن يكون أساطير وأوهام ومزاعم منشؤها الحقد العرقي والبغض الطائفي والعصبية الدينية، ونقصان في العقل العربي الذي لا يقدر على قبول الآخر بكل ما تعنيه كلمة الآخر من اختلاف وتباين.[١١٤]

ولسنا في حاجة أن نناقش هذه الدراسات ولا الحُجج الكثيرة التي يمكن الرد بها عليها، ولكن الشيء المحقق أن النسب الأموي للشيخ عدي منقوش على الحجر والجص والخشب في الزاوية العدوية التي نحن بصددها في ثلاثة نقوش ترجع لنهاية القرن السابع والنصف الأول من القرن الثامن الهجريين وأقدمها نقش مؤرخ بسنة (٦٩٧ هـ/ ١٢٩٧م) وهي نقوش بعضها ماثل للعيان على قارعة الطريق يقرؤها كل واحد، وهي أقدم من كتب جمهرة المؤرخين كابن فضل الله العمري وأبي الفدا وابن الوردي واليافعي وابن كثير والصفدي وابن شاكر والذهبي والمقريزي وابن تغري بردي والسخاوي وأضرابهم من المؤرخين.

عقيدة اليزيدية في الشيخ عدي كما وضحتها النقوش

مسألة أخرى ليست أقل مما سبق أهمية، فقد ذكرنا آنفًا اعتقاد الأولياء وكراماتهم في المجتمع المملوكي، ولكن حين يتعلق الأمر بالشيخ عدي بن مسافر ورأي العدوية فيه فهذا أمر يجب الوقوف عنده ونطيل الوقوف، لنفهم النقش الموجود على جانبي الداخل في ممر باب القبة من إيوان القبلة على يمين الداخل وهو: 'لا إله إلا الله محمد رسول الله، لا إله إلا الله سيدى عدي ولي الله سيدي عدي ظهر...' وعلى يسار الداخل عبارة: '[سيدى عدي يشفـ]ـع إلى الله، سيدي عدي به الوسيلة إلى الله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم' وهناك كلمات أخرى دثرت، ولكن الكلمات الباقية تشير إلى عقيدة أتباع الطريقة العدوية ومنهجهم العقدي.

وعبارة (ولي الله.... ظهر) أي أظهر كراماته وأبانها، ليست غريبة على ثقافتنا، فالولاية منصوص عليها في القرآن الكريم في قول الله تعالى: 'ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون[١١٥]' ومذكورة في الحديث النبوي الصحيح في قوله ﷺ: إن الله تعالى قال: من عاد لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيءٍ أحب إليّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددت في شيء ترددي في نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مُساءته[١١٦].'

والولاية في الفكر الصوفي قديمة بدأت مع متصوفي القرن الثاني والثالث الهجريين، مع الفضيل بن عياض (ت ١٧٨هـ/ ٧٩٤م) ومعروف الكرجي (ت ٢٠٠هـ/ ٨١٥م) وذي النون المصري (ت ٢٤٥هـ/ ٨٦٨م) والجنيد (٢٩٧ هـ/ ٩٠٩م) وغيرهم،[١١٧] وعرّف القدماء والمحدثون من المؤرخين والباحثين (ولي الله): أنه العالم بدين الله المواظب على طاعته المخلص في عبادته، وولي الله عند الصوفية هو صفوة خلق الله اصطفاه لولايته واستخلصه من بين أصفيائه وخاصته، وهو أمين الله في أرضه وخازن أسراره وعلمه، والأولياء هم عباده الحقيقيون وأولياؤه المتقون،[١١٨] والولي هو من يتولى الله أمره ويحفظه من العصيان قال تعالى: (وهو يتولى الصالحين)، ولا يكون له خوف ولا يحزن من صروف الوقت، وهو صادق مصدق صديق يؤثر الفقير على الأمير والقليل على الكثير، وهو من عمر الأوقات بأنواع القربات، وقيل: الولي هو الفاني في حاله الباقي في مجاهدة الحق، تولى الله سياسته فتوالت عليه أنوار التولي، ومن علامته الصبر على أذية الخلق والتجاوز عنهم، وليس من شرطه أن يكون معصومًا لا يغلط ولا يخطئ، بل يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين، وأن يظن بعض الخوارق أنها من كرامات الله.[١١٩]

ولكن الحق أن المؤرخين يحدثوننا أن أتباع طائفة العدوية غالوا في الشيخ عدي بن مسافر، ذلك الغلو الذي حذر منه الإسلام، وجاوز اعتقادهم فيه الحد منذ أيام شيخهم الحسن بن عدي بن صخر، حيث توسلوا به وجعلوه جاههم عند الله، وقبلتهم التي إليها يصلون وذخيرتهم في الآخرة التي يعولون عليها فلا يستطيع أحد أن يساويه

في الطبقة الأولى من كبار المشايخ،[١٢٠] ويظهر الغلو أيضًا في كثيرة من الخوارق التي نسبوها إليه، حتى ادعوا أنهم إذا ذكروا اسمه على الأسد الهاجم وقف، وإذا ذكر على موج البحر الهائج سكن، وإذا ضرب على صدر غافل للقرآن حفظ،[١٢١] وقيل في ذلك شعر قاله الشيخ الصديق بن محمد المقري المعروف والده بالمدوخ في وسيلته الجامعة:

بجاه عدي ذاك ابن مسافر   به تسكن الأمواج في لجج البحر

وإن قلته لليث لم يخط خطوة   ولا شبر من قاع ولا القاع من شبر[١٢٢]

وهكذا أصبح مقام الشيخ عدي الأكبر عند اليزيدية غير منكور، وزيارته فرض على كل يزيدي، وهو عندهم كالكعبة يحجون إليه في الخامس عشر من شهر أيلول إلي يوم العشرين منه كل عام، بل هو أفضل من الحج، ويعتبر شيخ اليزيدية الأعظم سادن هذا المقام،[١٢٣] وعند إرسالهم السناجق إلى القرى يخرجون من عند قبره باحتفال عظيم ورقص وغناء وزمر ونقر على الدفوف والطبول ويعجنون من ترابه كرات صغيرة تحمل مع السناجق فتفرق في القرى للتبرك بها.[١٢٤]

ولهم في الشيخ عدي مزاعم متطرفة في مصحف رش،[١٢٥] منها أن الله تعالى أرسله من أرض الشام إلى جبل لالش في سنجار بالعراق قبل خلق آدم، ويقولون أنه تحمل عنهم صومهم وصلاتهم وسيذهب بهم يوم القيامة إلى الجنة دون عقاب، وأنه وزير الله أو مشيره أو مشاركًا له، أو أن حكم السماء بيد الله وحكم الأرض بيد الشيخ عدي، وربما كان ما يملكه الشيخ عدي أكثر مما يملكه الله – تعالى الله عما يصفون – ومن ذلك أن الله زار الشيخ عدي في لالش فقام بضيافته خير قيام؛ ثم زار الشيخ عدي الله في السماء – تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا – هو وأتباعه ومريدوه؛ فلما حلُّوا في السماء لم يكن عند الله علف لخيولهم؛ فأمر الشيخ أتباعه أن يذهبوا إلى بيادره في لالش ويأتوا منها بالعلف، ففعلوا وسقط التبن في السماء فكان منه مجرة درب التبانة.[١٢٦]

فهل هذا يجعلنا نفهم عبارة (سيدي عدي ظهر) فهمنا آخر؟

أما لفظ الوسيلة الواردة في النقش الذي نحن بصدده؛ فمعناها السبب والقربة أي كل ما يتقرب به ومعناها في القرآن كل ما يتقرب به إلى الله بالطاعات والعمل بما يرضيه،[١٢٧] قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون)،[١٢٨] وقال تعالى أيضًا: (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة)،[١٢٩] وقد ورد التوسل بالنبي ﷺ في أصل الدين ويذكرون أن عمر بن الخطاب توصل بالعباس عم النبي ﷺ في طلب الاستسقاء، ولكن للوسيلة فهم آخر عند أهل التصوف؛ فهم يعتقدون أن الأولياء هم الواسطة بين الله تعالى وخلقه والتشفع بهم معمول عند أئمة الدين، وأن المنح الإلهية والبركة جارية لا تنقطع عن عنهم أحياءً وأمواتًا؛ لأن الموت في زعمهم طرأ على الجسد فقط، كما أن الدعاء عند قبور الصالحين محبوبة لديهم لأجل التبرك والاعتبار،[١٣٠] ويقولون إن قبور الصالحين لا تخلو من بركة وأن زائرها والمُسلّم على أهلها والقارئ عندها والداعي لمن فيها؛ لا ينقلب إلا بخير ولا يرجع إلا بأجر، وقد يجد لذلك أمارة وتبدو له بشارة تنكشف له[١٣١] وهذا هو منشأ وأصل السفر إلى المقامات والكتابة في الزيارات التي أفاض فيها فريق من المؤرخين.

لذا كان السائلون يتبركون بالأحياء من الأولياء أو يذهبون إلى قبور الأبرار والأشراف والزهاد والتابعين وأصحاب الكرامات والبقاع التي اشتهرت بإجابة الدعاء، ويسأل كل حسب مسألته ويقول وهو يقبل ويتمسح ويطوف: يا سيدى فلان أنا مستجير بك وأتوسل بك أن يحصل كذا وكذا، أو أطلب منك أن يحصل لي كذا وكذا، أو يقول يارب أسألك بمنزلة الشيخ فلان أو بسره أو بعلمه أن تفعل لي كذا وكذا، أو يقول متى حصل لي كذا وكذا أجيء لك بكذا وكذا وينذر له من النذور ما شاء الله له أن ينذر.[١٣٢]

ومن هنا جاءت هذه العبارات في الزاوية العدوية التي تعكس اعتقادهم في الشيخ عدي وقد نهى شيخ الإسلام ابن تيمية اتباع الطريقة العدوية من الغلو في المشايخ والصالحين في رسالته التي وجهها إليهم، كغلوهم في شيخهم عدي بن مسافر وجعله نوعًا من الألوهية مثل قولهم: كل رزق لا أرزقه من الشيخ عدي لا أريده، أو السجود عند قبره والتمسح به والحلف باسمه، أو قولهم عند ذبح الذبيحة باسم سيدي عدي، أو قولهم: يا سيدي عدي اغفر لي وارحمني أو انصرني، أو أجرني، أو توكلت عليك، أو أنت حسبي، أو أنا في حسبك، ونحو هذه الأقوال، وقد بيَّن شيخ الإسلام موقف أصحاب هذه الاعتقادات الباطلة فقال لهم: من اعتقد في بشر أنه إله، أو دعا ميتًا، أو طلب منه الرزق، والنصر والهداية وتوكل عليه، أو سجد له، أو ادعى أن أحدًا منهم يكون منزلته مع محمد ﷺ كمنزلة الخضر من موسى، ومن فضَّل أحد من المشايخ على النبي، أو اعتقد أن أحدًا يستغني عن طاعة رسول الله أستتيب فإن تاب وإلا ضربت عنقه.[١٣٣]

إشكالية نقش اسم علي بن أبي طالب ﷺ في الزاوية

من النقوش الغريبة والمثيرة للاهتمام في قبة ضريح هذه الزاوية؛ نقش اسم علي (رضي الله عنه) مكتوب بالخط الكوفي الهندسي، مكرر ست مرات داخل شكل هندسي سداسي الأضلاع (شكل١٣)، وهذا الشكل السداسي نفسه مكرر أربع مرات بين كل مجموعة من النوافذ الأربع الموجودة في منتصف الجدران بين منطقة انتقال قبة الضريح، أي يوجد بمنطقة الانتقال (١٦) شكلًا من اسم علي، وهذا الشكل هو أقدم نموذج معروف من هذا التصميم الذي يسمى (ستة علي أو شش علي بالفارسية) ولكنه ورد على بعض الآثار التالية: منها على لوح خشبي في جامع تغري بردي بحلب المعروف بجامع الموازيني من كتابة الخطاط أحمد الكتبي[١٣٤] تاريخه (٧٩٩ هـ/ ٩٦: ١٣٩٧م) (شكل١٤)، ومنه نموذج في جامع أصفهان من القرن الثامن الهجري، ويوجد هذا الشكل أيضًا فوق عقد المدخل بقصر الملك شيرفانشاهس (كـاخ شروان شاهان) (Shirvanshahs) أو (Şirvanşahlar Saray) بمدينة باكو بأذربيجان حوالي القرن الخامس عشر الميلادي (شكل١٥)، وعلى واجهة مدخل ضريح أتاجا خان في مدينة أكرا الهندية (٩٧٠ هـ/ ١٥٦٢م)،[١٣٥] وقد قدمت لك سابقًا أن على جانبي المحراب كتابة بالخط الكوفي الهندسي الأشكال بالاسمين الميمونين (محمد) و(علي) أحدهما يشكل واجهة باللون الأسود والثاني يشكل خلفية باللون الأبيض.

وليس من اليسير أن نفهم وجود اسم علي مستقلاً بذاته في نقش في مثل هذه الزاوية، وقد قدمت لك منذ حين أن الأساس السياسي والدينى الذي قامت عليه الطريقة العدوية والطائفة اليزيدية هو حبها للأمويين وتقدير مكانة نسبهم من قريش، ومناوأة آل البيت والزراية عليهم في الله، وغلوها في يزيد بن معاوية، وبغضهم لعلي بن أبي طالب وبنيه.

فماذا يعني اسم علي في زاوية هؤلاء؟ و لم وُجد الاسم مكررًا بين النوافذ التي ينطلق منها الضوء إلى داخل الضريح فتنيره؟ ولماذا لم يتكرر هذا الاسم في أماكن أخرى من الزاوية؟ أنقش على علم من أهل الزاوية القائمين عليها؟ أيدل على نهج اتباع الطريقة في تسامحهم والكف عما شجر من خلاف بين السلف الصالح؟ أكان نوعًا من التقية ودرء الشبهات؟ أكان نوعًا من التملق والمداراة التي لا بد منها لدفع غوائل المتعصبين والغالين وذر الرماد في العيون؟ أم هو مما تكلفه النقاشون والمزوقون فأضافوه إلى الزخارف كيدًا وعبثًا، دون علم من أهل الزاوية؟ أم هو زخرفة لا أكثر ولا أقل لا تحتمل التأويل والتفسير؟ هل تكرار هذا الشكل الذي يحتوي على (ستة علي)؛ تكراره أربع مرات في الجانب الواحد من الجوانب الأربعة بين النوافذ له رمزية ما؟ أو تكراره بين النوافذ في الأربع جدارن مرة له دلالة ما؟[١٣٦]

كتابة الآيات الكريمة وعلاقتها برسم المصحف

يظهر من خلال رسم، الآيات في هذه الزاوية وجود رسم لكلمات بعضها مطابق وبعضها مخالف لمشهور الرسم العثماني للمصحف الشريف، وذلك لأسباب عديدة منها له علاقة بقراءة القرآن السائدة آنذاك، ومنها ما له علاقة بلهجات العرب، ومنها ما له علاقة بما جرت به عادة الكتاب من ظواهر إملائية ونحوية فشت في عصرهم، ومنها ما هو شارد مهجور وقديم مجهول، أو صحيح مستملح وغريب مستقبح، وهي مؤشرات واضحة تكشف عن الصلة بين قراءة العراقيين للمصحف ورسمهم له، كما هي العلاقة بين اليزيدية وبين موطنهم العراق ويمكن تناول بعض الظواهر كالتالي:

- **تسهيل الهمزة أو تليينها، تركها أو تخفيفها**

الهمزة حرف من حروف هجاء العربية مخرجها من أقصى الحلق، وهو صوت شديد مستثقل وهي من أثقل الحروف نطقًا وأبعدها مخرجًا، لها أحكام خاصة؛ وهي إما تقع في الكلمة مبتدأة مثل (أخ، وأب، وأحد، وأحمد، وأذن، وأخت، وأترجة، وإبرة، وإبراهيم)، أو متوسطة مثل (رأس، وفأس، وفأل، وسأل، وبؤس، وتؤل، يؤذن، وشئون، وكؤوس، وتؤمل، وبئر، وذئب، وبئس) أو متطرفة مثل (قارئ، ومنشئ)، وهي إما تكون محققة أي أن تعطى الهمزة حقها في الإشباع أو مبدلة أو محذوفة أو بين بين، وهي إذا أبدلت تبدل بثلاث حروف، ألف نحو: (ناكل، وراس، وباس، وقرات) وأصلها (نأكل، ورأس، وبأس، وقرأت) إذا فتح ما قبلها، وتبدل واو نحو (يومنون، ويواخذكم، ويومرون) أصلها (يؤمنون، ويؤاخذكم، ويؤمرون) إذا كان مضمومًا ما قبلها، وتبدل ياء نحو: (بير، وخبيت، وقريت) وأصلها (بئر، وخبئت، وقرات) إذا كسر ما قبلها.[١٣٧]

وإن ظاهرة تخفيف الهمزة وتسهيلها ظاهرة قديمة، فمن الحقائق المشهورة عن النطق العربي أن عدم الهمز خاصية حضرية وامتازت بها قبائل في شمال الجزيرة وغربيها، وأن أهل الحجاز

مكة والمدينة وهذيل – إلا قليلًا منهم – لا يحققونها إلا إذا اضطروا لذلك؛ لأن فيها صعوبة عند النطق بها وهي تخرج باجتهاد لبعد مخرجها، ومن ثم لجأوا إلى تخفيفها طلبًا للخفة والسهولة والتيسير واقتصاد الجهد العضلي، أما تحقيق الهمزة فقد كان من الخصائص البدوية دون الحضرية، اشتهرت بها وسط الجزيرة العربية وشرقيها تميم وما جاورها من قبائل مغنى وعكل وأسد وعقيل وبني سلامة من أسد، وقد بالغ بعضهم بتحقيق الهمزة حتى قلبوها عينًا إذا كان مفتوحًا ما قبلها يقولون: أشهد عنك رسول الله، يريدون (أنك) ومنهم من يقلب الهمزة المكالقرآن الكريم، سورة هاء كقوله: إياك (هياك)،[١٣٨] إذن، إن ظاهرة تحقيق الهمزة أو تسهيلها كانت في الأصل من الأمور التي فرقت بين لهجات العرب، فلما نشأت اللغة النموذجية قبل الإسلام اتخذت تحقيق الهمزة صفة من صفاتها، ولما جاء الإسلام وجد أن التحقيق صفة من صفات الفصاحة.[١٣٩]

لذا شاع في النقوش العربية المبكرة وحتى المتأخرة وفي المصاحف المبكرة أيضًا إهمال رسم الهمزة، وقد كان ذلك من خصائص النقوش الكوفية إهمالها الهمزة وغير ذلك من إعجام الحروف وحركات ورموز التشكيل، وجرى إهمال الهمزة أيضًا في نقوش خط الثلث حتى فيما يختص برسم، الآيات القرآنية، ومن الكلمات التي تهمل همزتها الأسماء المهموزة نحو: (أبطأ، وبدأ، وبرأ، وتبرأ، وحنأ، وخبأ، ودرأ، وذرأ، ورزأ، وسبأ، وصبأ، وطرأ، وظمأ، وعبأ، وفاجأ، وفقأ، وقرأ، وكافأ، ولجأ، وتمرأ، ونبأ، وهدأ)، وتهمل أيضًا همزة الأسماء الممدودة مثل: (حسناء، وبناء، وأمراء، والفقراء، وابتغاء، والدعاء، والنداء، الثلثاء، والاحياء، ويشاء، والفناء، ولقاء، وشاء) وكتابتها هكذا (حسنا، وبنا، وأمرا، والفقرا، وابتغا، والدعا، والندا، والثلثا، والاحيا، ويشا، والفنا، ولقا، وشا)،[١٤٠] لذا فلن تجد في، الآيات الكريمة بالشريط الكتابي بالزاوية العدوية الذي يحزم الأواوين والصحن ويؤطر المحراب وهي آيات من القرآن الكريم، سورة يس[١٤١] رسم الهمزة في (إنك) ولا (أنذر، وآباؤهم) ولا في (جاء، وجاءها) ولا في كلمة شيء: (وكل شي احصيناه) ولا في كلمة يسألكم: (يسلكم اجرا) ولا في كلمة شيئًا: (شفاعتهم شيا) ولا في غيرها من الكلمات.

وتؤدي ظاهرة ترك همزة الاسم الممدود ومد الاسم المقصور إلى اشتباه يقع بين المقصور والممدود الذي تركت همزته، يبدو ذلك واضحًا إذا كان هناك كلمتان بمعنيين مختلفين أحدهما ممدودة والأخرى مقصورة لهما نطق واحد مثل: (الثرى) مقصورة بمعنى التراب الرطب و(الثراء) ممدودة بمعنى الغنى، فإذا مدت كلمة الثرى هكذا: (الثرا) وحذفت همزة كلمت الثراء صارت الكلمتان شيئًا واحدًا، ومثل كلمتي (الخلا) مقصورة أي الحشيش الرطب و(الخلاء) ممدودة بمعنى الفضاء، وكلمتي (الغنى) مقصورة أي الثراء و(الغناء) ممدودة وهو من الطرب، وكلمتي (الهوى) مقصورة أي هوى النفس و(الهواء) ممدودة أي ما يتنفسه الإنسان، و(العمى) مقصورة أي عمى العين والقلب و(العماء) ممدودة وهو الغيم الخفيف (الخوى) مقصورة أي الجوف و(الخواء) ممدودة أي كل فرجة بين شيئين و(الفتى) مقصورة أي واحد الفتيان و(الفتاء) ممدودة من الشباب (الورى) مقصور أي الخلق و(الوراء) ممدودة أي الخلف و(الردى) مقصورة أي الهلاك و(الرداء) ممدودة من الثياب وغير ذلك.[١٤٢]

وتسهيل الهمزة أو تخفيفها أو تليينها ليس بمنكر ولا غريب في لغة العرب، والمراد به: هو تغيير يدخل على الهمزة يجعل الهمزة بيْنها وبين الحرف المجانس لحركتها أثناء النطق، فينطق المفتوحة بينها وبين الألف، والمكالقرآن الكريم، سورة بينها وبين الياء، والمضمومة بينها وبين الواو، ويطلق التسهيل أيضًا على كل تغيير يدخل الهمزة كالإبدال وبين بين والحذف، وقد قرأ حمزة وورش وأبو عمرو وأبو جعفر والكسائي بتخفيف الهمزة أو تسهيلها أو تليينها بالحذف تارة وبالقلب تارة وبالنقل العارض وبالإبدال وبالتغيير والتدبير تارة أخرى،[١٤٣] وهمزة ياء كما في (اسراييل وجبراييل)، وإذا اجتمعت الهمزة مع أختها فإنها تكون أشد ثقلًا كما في (أإنا وأإذا) فالعرب يحولونها ياء (أينا وأيذا)[١٤٤] وفي أمهات المصاحف (أئن ذكرتم) ورسمت أيضًا (أين ذكرتم) بتليين الهمزة أي كتابتها ياء، وقد رسمت هاتين الكلمتين في نقوش الزاوية وصلًا لا فصلًا هكذا: (أينذكرتم)، وقد ذكر الشيخان أبو عمرو الداني وأبو داوود رحمهما الله أن (أينكم) بالياء والنون وردت في أربعة مواضع من المصحف، في (أينكم لتشهدون)،[١٤٥] وفي (أينكم لتأتون الرجال)،[١٤٦] وفي (أينكم لتأتون الرجال)،[١٤٧] وفي (أينكم لتكفرون)،[١٤٨] وقال أبو عمرو الداني أنه تتبع هذه الحروف في مصاحف أهل المدينة والعراق الأصلية القديمة فوجد منها (أين ذكرتم) في يس وكذا رسمه الغازي بن قيس وعطاء الخراساني،[١٤٩] وقرأ الأعمش بهذه القراءة في القرآن الكريم، سورة يس.[١٥٠]

- **مد المقصور**

الاسم المقصور: هو كل اسم معرب منته بألف لفظًا لازمة أو نقص عن الممدود مثل (فتى، مستشفى، رضى، ملهى، مأوى، منادى، هوى، رضى، رحى، حبلى، بشرى)، وقد سمي مقصورًا لأنه قصر عن الإعراب أي حبس فلا تتغير ألفه مهما كانت موقعه من الإعراب، وهذه الألف إما منقلبة عن ياء أو واو ويظهر ذلك عند تثنية الكلمة فمثلًا: (فتى) أصلها ياء لأن تثنيتها: (فتيان) وعصى أصلها واو لأن تثنيتها (عصوان)، وقد تكون الألف مزيدة للتأنيث مثل غضبى وحبلى وفضلى فيقال: (امرأة غضبى وحبلى، وفضلى)، ويجرى عليها أيضًا كل ما كان من ذوات الياء من الأسماء والأفعال (الموتى، وإحدى، والسلوى، والمرضى، والأسرى، وشتى، وصرعى، وطوى، والحسنى، ولليسرى، وللعسرى، وبشرى، وموسى، وإحدى، والهوى، والعمى، وأدنى، وأزكى، وفتى، ومصلى، وولى، ومسمى، وقرى، صغرى، وكبرى، وعذارى، وسكارى، ومرتضى، ووغى، وعى، ووحى، ونوى، وحصى، وحشى، ورحى، ومرضىن وجرحى، وزمنى، وسكارى، وأسارى وكسالى، وقوى، ولحى، وكنى، وعرى، وربى، وذرى، رشى، وأعلى، وأدنى، وأدعى، وأقضى، وأسعى، ومرمى، ومثوى، ومصطفى، وملقى) (أعطى، اهتدى، ورمى، وهوى، ومشى، وأخفى، وتهوى، ويرضى، واعتدى، واستعلى) والأسماء الأعجمية مثل (موسى، وعيسى، وكسرى).[151]

من الظواهر التي برزت في رسم بعض كلمات، الآيات وفي غيرها بالزاوية مد المقصور، فقد رسمت كلمة (أوفى) في بيت الشعر بالزاوية العدوية الذي أنشده الشيخ زين الدين يوسف وهو يجود بنفسه هكذا: (ذنوبي غزار لا أطيق لحصرها وعفوك يا مولاي أوفا وأزيد)، أما بالنسبة لآيات القرآن الكريم، سورة يس المنقوشة داخل الزاوية، فقد اتفقت المصاحف على رسم ما كان من ذوات الياء من الأسماء والأفعال بالياء على مراد الإمالة وتغليب الأصل (أي الدلالة على أصلها) سواء اتصل ذلك بضمير أو لم يتصل، نحو (الموتى – إحدى – السلوى – المرضى – الأسرى– شتى – صرعى – طوى – الحسنى – لليسرى – للعسرى – بشرى– موسى – عيسى– إحدى – الهوى – العمى – أدنى – أزكى– فتى – مصلى – مولى – مسمى – قرى – رمى) وقاعدتها الإملائية أن كل فعل ثلاثي ألفه منقلبة عن ياء (رمى ومشى) يكتب آخره ألف لينة، وكل اسم زائد عن ثلاثة ليس قبل آخره ياء مثل (صغرى، وكبرى، وعذارى، وسكارى، ومرتضى) تكتب ألفه لينة، والأسماء الأعجمية مثل (موسى، وعيسى، وكسرى) يكتب آخره ألف لينة، كل فعل زائد عن ثلاثة ليس قبل آخره ياء مثل الأحرف الأربعة (إلى على بلى حتى) لانقلابها ياء مع الضمير (إليه، عليه).[152]

قد قرأ حمزة والكسائي وخلف بإمالة (أي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء قليلًا) في مثل هذه الكلمات: (موسى، وعيسى، والموتى، وطوبى، وإحدى، وكسالى، وأسارى، ويتامى، وفرادى، ونصارى، والأيامى، وبشرى، وذكرى، الأدنى، وأزكى، والأعلى، وسعى، وسوى، وزكى، ويخفى، وتهوى، ويرضى، وأنى، شئتم، واعتدى، واستعلى، ويٰحسرتى، ويٰأسفى)،[153] وهكذا تجد كلمة الموتى في الإزار الكتابي رسمت هكذا: (الموتا).

ولكن على العكس من إجماع المصاحف على رسم كلمات من ذوات الياء على مراد الإمالة (الموتى – إحدى – السلوى – المرضى – الأسرى – رمى) استثنت بعض المواضع؛ فرسمتها بالألف وهي (وجاء رجل من أقصا المدينة يسعى)،[154] (وجاء رجل من أقصا المدينة)،[155] و(سبحان الذي أسرى بعبده من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا)،[156] فإن الكلمة في آيات القرآن الكريم، سورة يس بالزاوية هكذا: (أقصى) على خلاف المشهور.

- **قصر الممدود**

الاسم الممدود: هو كل اسم وقعت آخره همزة قبلها ألف زائدة (كالكساء والرداء) وهو لا يجرى عليه اختلاف مع تغير حركات الإعراب في الرفع والخفض والنصب، ويدخله التنوين نحو(هذا رداءٌ وحذاءٌ) و(رأيت رداءً وحذاءً) و(مررت برداءٍ وحذاءٍ)، أما إذا أضيف إلى ضمير مكنى فإنه يرفع بالواو (أعجبني حياؤكَ) وينصب بهمزة مفتوحة (كرهت حياءك) ويخفض بهمزة مكالقرآن الكريم، سورة وقفت على حيائك)،[157] وتهمل أيضًا همزة الأسماء الممدودة مثل: (حسناء، وبناء، أمراء، الفقراء، ابتغاء، الدعاء، النداء، الثلثاء، الأحياء، يشاء، الفناء، لقاء، شاء رداء حذاء، شهداء، ظرفاء، نداء، رغاء، ثغاء، بكاء، غناء، ورشاء، فراء، بناء، سراء، ضراء، نعماء، قباء، هواء، فناء، غلواء، أغنياء، شقاء، جواء، غلاء، شقاء)، وكتابتها بدون همزة هكذا (حسنا، بنا، أمرا، الفقرا، ابتغا، الدعا، الندا، الثلثا، الاحيا، يشا، الفنا، لقا، شا ....).

- **إثبات الألف الوسطى للكلمة**

اجتمعت أمهات المصاحف وباتفاق شيوخ الرسم؛ على حذف حرف الألف الوسطى لبعض الكلمات إما للاختصار كما في الكلمة المشار إليها، وحذف حرف الألف الوارد بعد حرف ياء النداء (يأرض ابلعي، يأخت هارون، يلوط، يشعيب)، ومن الأسماء الأعجمية نحو (ابرهيم، اسمعيل، هرون، عمرن) وهي كثيرة في القرآن تفوق الحصر، وحذفت الألف للإشارة لاختلاف القراء في قراءة كلمة ما مثل: (ملك يوم الدين).[١٥٨]

ولكننا في، الآيات المنقوشة بالزاوية من القرآن الكريم، سورة يس وجدنا إثبات الألف الوسطى للكلمات على عكس المشهور في أمهات المصاحف مثل كلمة: (أَعْنَقِهِمْ) كما في قوله تعالى: (فظلت أَعْنَقِهِمْ) الشعراء ال، الآية الثالثة، فرسمت بالزاوية هكذا (اعناقهم)، ومثل كلمة (أَغْلَلًا) (ويضع عنهم إصرهم والأغلل)[١٥٩] التي رسمت بالزاوية هكذا: (اغلالا)، وكلمة (فاغشينهم) رسمت هكذا: (فاعشيناهم) وكلمة (شفعتهم) التي رسمت هكذا: (شفاعتهم) وأثبت ألف النداء بعد ياء النداء هكذا: (يا ليت)، وقد اتفق شيوخ الرسم على حذفها في: (يليت).

- **كلمة أأنذرتهم**

رسمت كلمة (أأنذرتهم) في الطراز الكتابي من آيات القرآن الكريم، سورة يس بالزاوية موضوع الدراسة بألفين حقيقيين على خلاف ما اتفقت عليه المصاحف، فقد اتفقت سائر المصاحف أنه إذا كان بالكلمة من الاستفهام ألفان أو ثلاثة فإن الرسم ورد بإثبات ألف واحدة اكتفاء بها لكراهة اجتماع صورتين متفقتين فما فوق ذلك في الرسم منها مما تدخل فيه همزة الاستفهام على أخرى، وذلك لأن همزة الاستفهام زائدة عن الكلمة فهي أولى بالحذف أما ألف استفهام الكلمة فهي الأصلية أثبتت للحاجة إليها: (ءأنذرتهم) بالقرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ٦، ويس، الآية، و(ءأقررتم) آل عمران، وغيرها من الكلمات المتفرقات في القرآن الكريم (ءأنتم، ءأشفقتم، ءإذا، ءإله، ءأنزل عليه، ءألقي) وما كان مثله، وكذلك كل همزة مفتوحة دخلت على ألف أصلها همزة أو ألف زائدة نحو: (ءامنوا، ءادم، ءازر، ءاسن، ءانفًا، ءآمين البيت، ءاذن لكم) وشبهه.[١٦٠]

- **كلمة أغشيناهم**

رسمت في المصاحف باتفاق شيوخ الرسم هكذا: (فاغشينهم)، ولكنك إن نظرت في الطراز الكتابي بزاوية زين الدين يوسف تجدها رسمت: (فاعشيناهم) بالعين وليس الغين، وهي قراءة الحسن البصري رحمه الله[١٦١] ومعنى أعشيناهم أي أفقدناهم البصر؛ لأن الأعشى هو فاقد البصر أو سيئ البصر في النهار والذي إذا جنه الليل لا يبصر،[١٦٢] ومنها اسم الكتاب الفريد (صبح الأعشى) للقلقشندي.

- **كلمة طائركم**

رسمت هذه الكلمة في نقوش الزاوية هكذا: (طايركم)، أما في المصاحف فقد رسمت باتفاق شيوخ الرسم المجمع على اتباعه هكذا: (طئركم) بحذف الألف بين الطاء والياء المهموزة، وهي من الحروف التي رواها أبو عمرو الداني بسنده عن قالون عن نافع بالحذف ونظيرها في (ألا إنما طئرهم عند الله)،[١٦٣] وقد وجدت في أمهات المصاحف حذف الألف وتليين الهمزة إلى ياء في (فيكون طيرًا بإذن الله)،[١٦٤] وفي (فيكون طيرًا بإذن الله)،[١٦٥] أما (طايركم) بإثبات الألف وتليين الهمزة؛ فقد وجدت في كل الأشرطة الكتابية المملوكية التي اطلع عليها الباحث ومثال واضح في الشريط الكتابي بواجهة خانقاه أم دنوك (٧٤٢هـ/ ١٣٤٢م)، وهي طريقة كتابة الإمام محمد بن طيفور السجاوندي المتوفى سنة (٥٦٠ هـ/ ١١٦٤م) وطريقة الحسن البصري لكنه حذف ألفها هكذا: (طيركم).[١٦٦]

- **كلمة يردن**

من ظواهر الرسم العثماني للمصحف حذف الياء المتطرفة رسمًا للتخفيف نحو: (واتقون يأولي الألبب)[١٦٧]، (ومن اتبعن)[١٦٨]، و(فلا تخافوهم وخافون)[١٦٩]، و(فلا تخشوا الناس واخشون)[١٧٠]، و(اتحجوني في الله وقد هدان)[١٧١]، و(ثم كيدون)[١٧٢]، و(إن يردن الرحمن)[١٧٣]، ولكنهم استثنوا من ذلك كلمات في أربعين موضع في القرآن منها: (واخشوني ولأتم نعمتي)،[١٧٤] و(فإن الله يأتي بالشمس)،[١٧٥] و(فإن اله يأتي بالشمس).[١٧٦] وممن قرأ (إن يردنيَ) بفتح الياء طلحة بن مسروق وعنه أخذ الأعمش.[١٧٧]

- **كلمة خوفا**

نقشت هكذا في الكتابة التي تزين قطب قبة الضريح بالزاوية (بسم الله الرحمن الرحيم ألا إن أوليا الله لا خوفا عليهم ولا هم يحزنون)، اتفقت المصاحف على رسمها (خوفٌ) وقد قرأها القراء ضم التنوين،

سوى الحسن البصري الذي قرأها بالفتح هكذا: (خوفَ عليهم)، [١٧٨] وأكبر الظن أن قراءتها بالفتح هو السبب في كتابتها (خوفا) بالنصب في قطب قبة زاوية زين الدين يوسف، وكل ذلك يؤكد أن الخطاط كتب برسم مصحف أهل العراق أو المدينة وبقراءة الحسن البصري.

نتائج الدراسة

حاولت هذه الدراسة فهم النقوش الكتابية في الزاوية العدوية (زاوية زين الدين يوسف) بالقاهرة فهمًا جديدًا عن طريق عرض للأحداث التاريخية والتعقيدات الدينية التي انتهت ولكن تمخض منها هذه الزاوية الرائعة، فوصفت الزاوية وصفًا معماريًّا وعرضت للنقوش الكتابية بها، ثم ألقت الضوء على الفرقة اليزيدية وعرضت لمعتقداتها وميولها السياسية والدينية، وسبب تحول كثير منهم عن العراق واتخاذهم مصر وبلاد الشام موطنًا لهم منذ العصر الزنكي والعصر الأيوبي والعصر المملوكي، ويمكن أن تلتمس ذلك في ثنايا البحث وكان أهم النتائج التي توصلت لها هي:

- وضحت الدراسة أسباب بناء هذه الزاوية للطائفة العدوية بالقاهرة بهذا الشكل الرائع الضخم والفخم.

- أشارت إلى أن المؤرخين والباحثين من بعدهم خلطوا بين الشيخ زين الدين يوسف العدوى الأموي شيخ الطريقة العدوية، والذي جاء إلى القاهرة ولقي فيها قبولًا وترحيبًا وسمح له ولأتباعه بممارسة شعائرهم؛ خلطوا بين هذا الشيخ الجليل وبين شيخ آخر من شيوخ العدوية يقال له زين الدين أراد الثورة على الدولة واسترجاع الحكم لبني أمية، وقد جعلهما المؤرخون شخصًا واحدًا، وبالتالي كان من الصعب فهم التناقض بين القبض على الشيخ وغضب الدولة على أتباعه والسماح لهم ببناء الزاوية في وقت واحد.

- نظرًا لخلو النقوش الكتابية في الزاوية وكذا عدم وجود إشارات عن منشئ الزاوية ومنشئ الزيادة لها؛ فقد حاولت الدراسة التماس المنشئ، ورجحت أن يكون هو الشيخ محمد بن أحمد العدوي أحد خلفاء الشيخ زين الدين يوسف والذي توفي ودفن في الزاوية في سنة (٧٣٧ هـ/ ١٣٣٦م).

- نظرًا للاضطراب والتخليط والتكلف والانتحال الوارد في نسب الشيخ عدي بن مسافر ونسب زين الدين يوسف في النقوش وفي كتب المصادر؛ تناولت الدراسة سبب هذا الاضطراب والخلط وتوصلت إلى النسب الصحيح عن الوارد في النقوش والمصادر التاريخية.

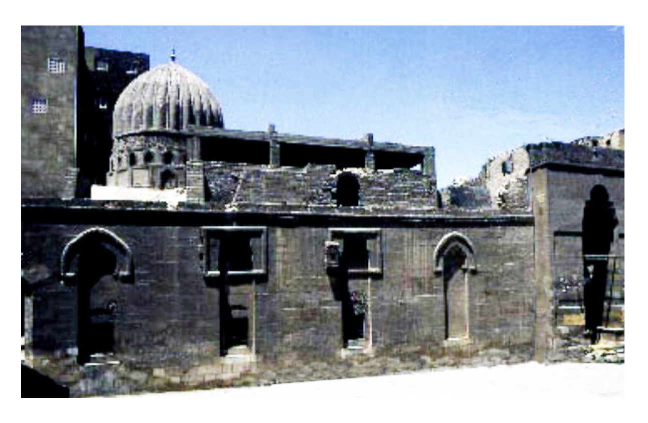
- نظرًا لورود عبارة (سيدي عدي ولي الله .... سيدي عدي ظهر... سيدي عدي الوسيلة إلى الله) في النقوش الكتابية بالزاوية؛ أشارت الدراسة إلى عقيدة العدوية في الشيخ عدي بن مسافر وغلوهم فيه وفي كراماته، وبالتالي فهمنا هذه العبارات كما فهمها القدماء من مريدي الطائفة العدوية.

- من النقوش الغريبة في الزاوية وجود اسم علي بن أبي طالب مكرر ست مرات في شكل سداسي ومكرر كثيرًا في قبة الشيخ زين الدين يوسف في زاوية العدوية الذين يناصرون الأمويين ويكرهون آل البيت، وقد طرحت الدراسة عدة تساؤلات عن أسباب ذلك دون الإجابة عليها في محاولة لإثارة البحث حولها، لأن البحث في هذا الأمر يحتاج إلى تفصيل أوسع وأشمل وإلى كثير من التحقيق والتأني بعيدًا عن إرسال الأحكام.

- ربطت الدراسة بين رسم، الآيات القرآنية ورسم المصحف ورصدت الظواهر الإملائية من تليين الهمزة وقصر الممدود ومد المقصور وغيرها ووجدت أن رسم، الآيات جاء على قراءة الإمام الحسن البصري والإمام محمد بن طيفور السجاوندي أي على طريقة شرق العالم الإسلامي.

اللوحات والأشكال

اللوحات



(لوحة ١) الواجهة الواجهة الشمالية الشرقية ومدخل الزاوية العدوية (زاوية زين الدين يوسف بالقاهرة).



(لوحة ٢) مدخل زاوية زين الدين يوسف بالقاهرة.



(لوحة ٤) المدخل الذي يتقدم الزاوية العدوية (زاوية زين الدين يوسف بالقاهرة).



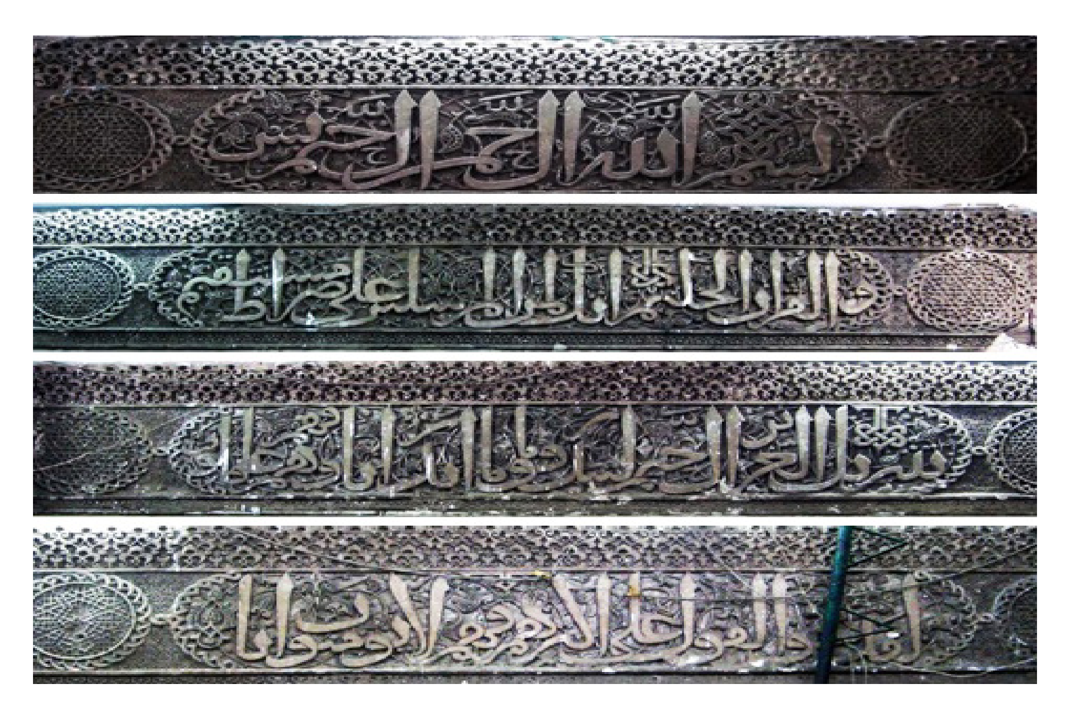
(لوحة ٥) جزء من آية الكرسي تزخرف عضادتي مدخل الزاوية العدوية (زاوية زين الدين يوسف).



(لوحة ٣) قبة ضريح الشيخ زين الدين يوسف بالزاوية العدوية (زاوية زين الدين يوسف).



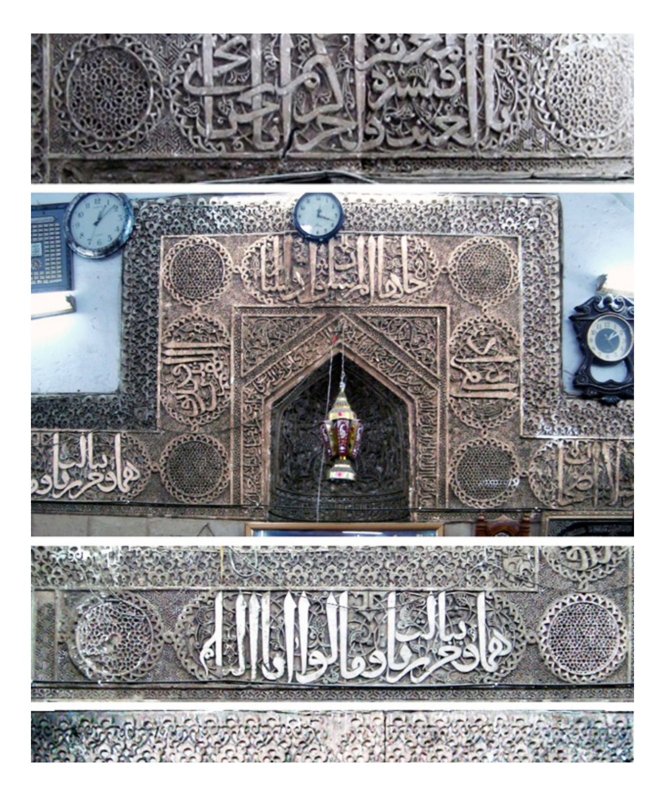
(لوحة ٦) نقش بيتين من الشعر مما قالهما الشيخ زين الدين يوسف حين احتضاره.



(لوحة ٧) أجزاء من الإزار الكتابي الذي يحزم الصحن والأواوين داخل الزاوية العدوية (زاوية زين الدين يوسف).

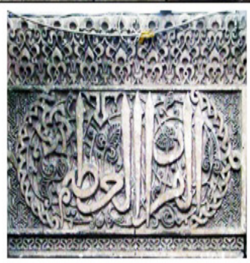


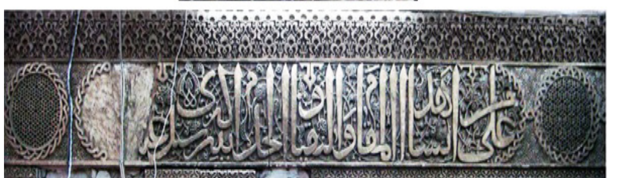
(لوحة ٨) أجزاء من الإزار الكتابي الذي يحزم الصحن والأواوين داخل الزاوية العدوية (زاوية زين الدين يوسف).



(لوحة ٩) أجزاء من الإزار الكتابي في جدران إيوان القبلة وحول المحراب بالزاوية العدوية (زاوية زين الدين يوسف).







(لوحة ١١) أجزاء من الإزار على جدران الإيوان الشمال الغربي بالزاوية العدوية (زاوية زين الدين يوسف).



(لوحة ١٠) أجزاء من الإزار الكتابي في جدران الإيوان الشمال الشرقي بالزاوية العدوية (زاوية زين الدين يوسف).



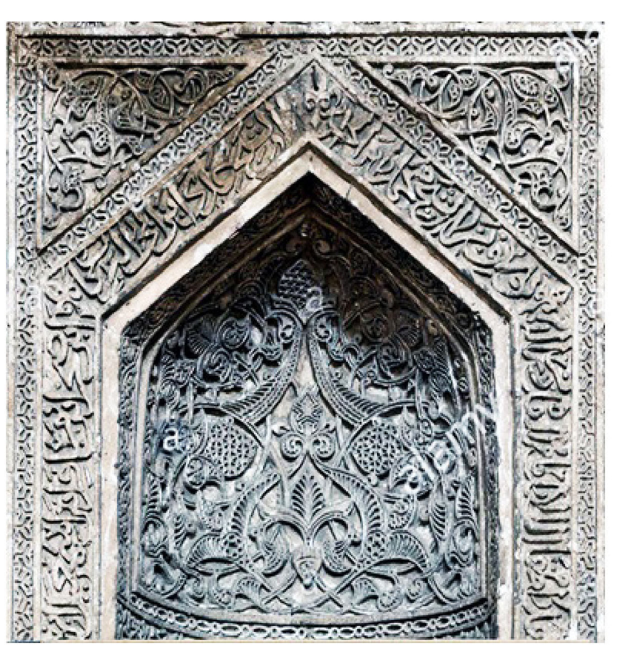
(لوحة ١٢) الشريط الكتابي الذي يؤطر مدخل القبة في إيوان القبلة بالزاوية العدوية (زاوية زين الدين يوسف).



(لوحة ١٣) جانب من الشريط الكتابي على رقبة القبة بزاوية زين الدين يوسف (الزاوية العدوية).



(لوحة ١٤) نقش إنشاء القبة الأولى القديمة على ضريح الشيخ زين الدين (٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م).



(لوحة ١٦) شريط كتابي يحوي نسب الشيخ زين الدين يوسف يؤطر محراب الزاوية (٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م).



(لوحة ١٥) نقش تعيين مقام الشيخ زين الدين يوسف وتأريخ البناء الجديد الحالي (٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م).

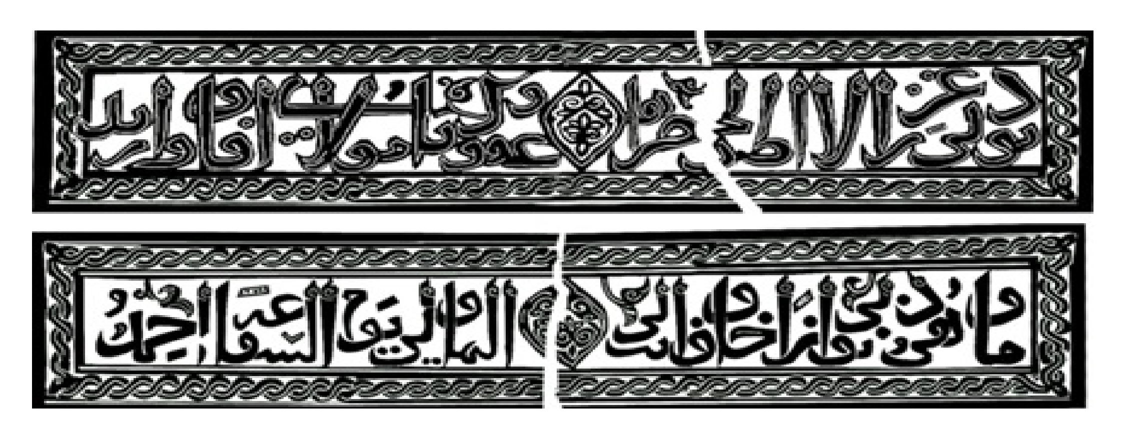


(لوحة ١٧) نقش تأسيس باب الزيادة الذي ألحق بالمبنى من الأمام فيما بينها وبين الشارع.

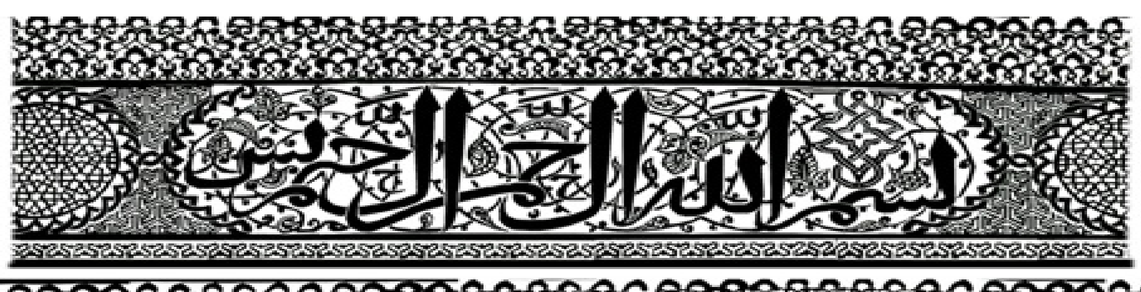


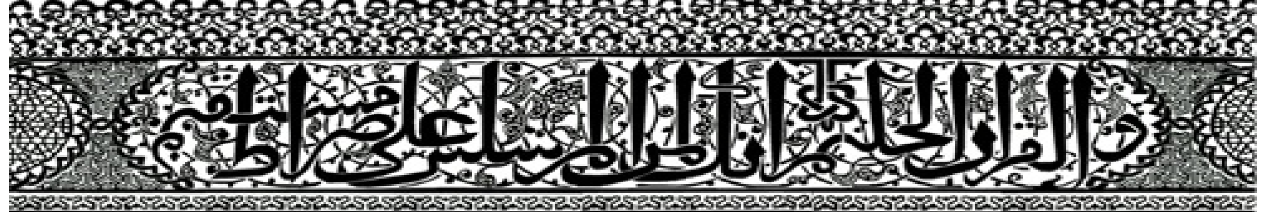
(لوحة ١٨) مرقد الشيخ عدي بن مسافر في وادى لالش بالموصل بالعراق.

الأشكال

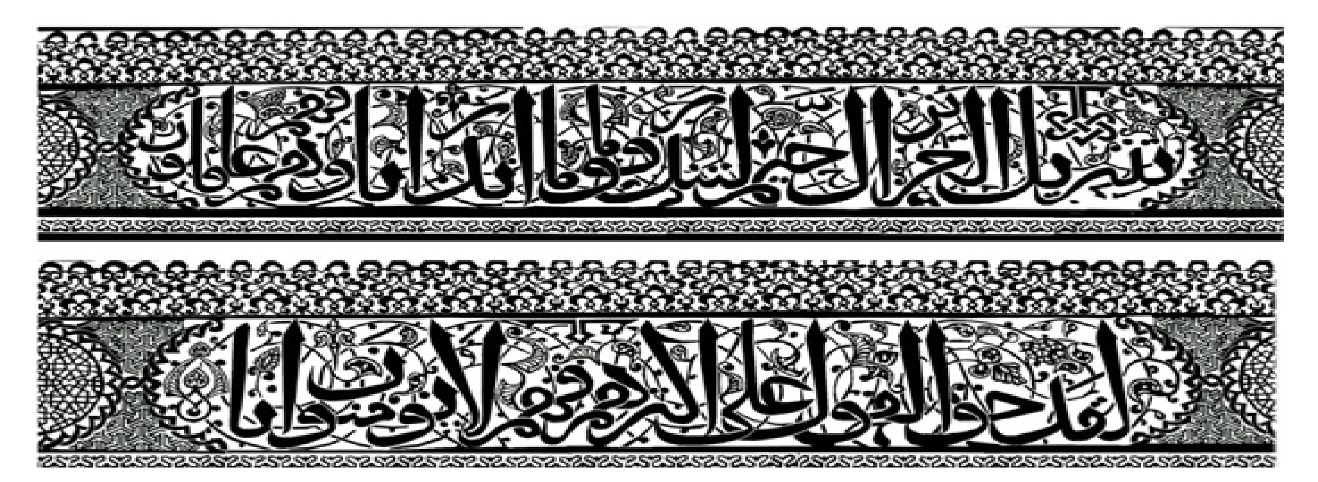


شكل (١) تفريغ لبيتي الشعر على عتب نافذتين بجدار القبلة من الخارج في الزاوية العدوية (زاوية زين الدين يوسف)، تفريغ الباحث.

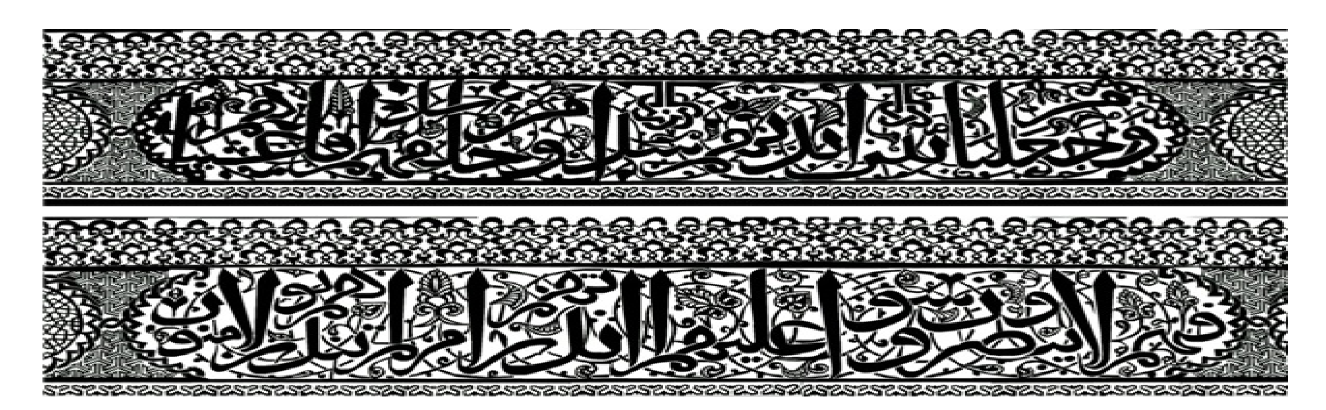




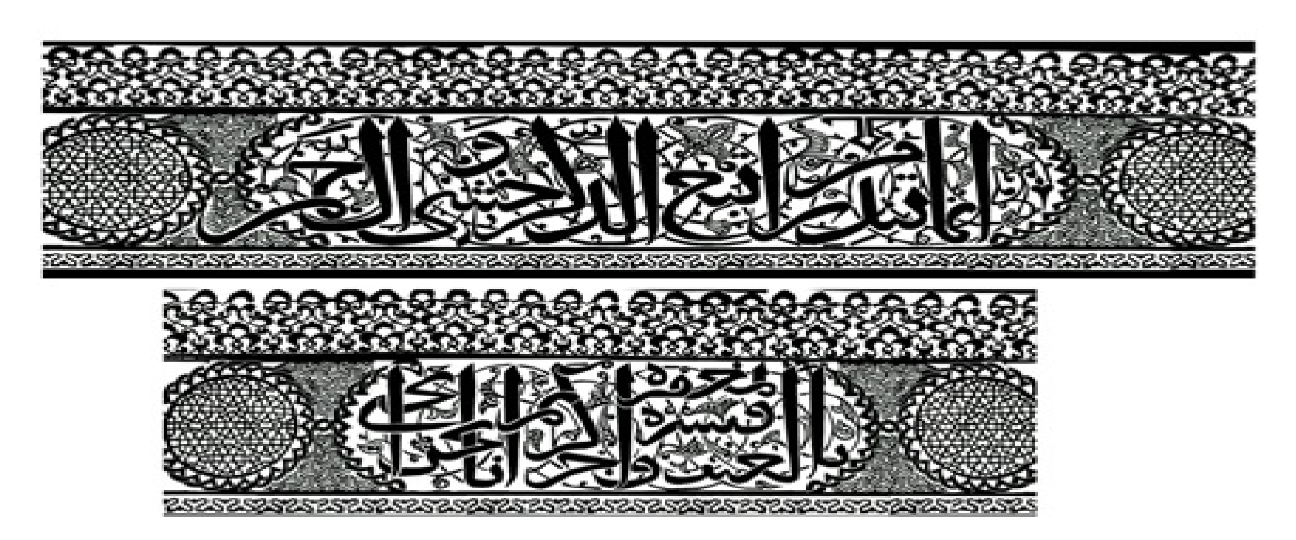
شكل (٢) أول الشريط الذي يحزم الصحن والأواوين بالزاوية العدوية (زاوية زين الدين يوسف)، تفريغ الباحث.



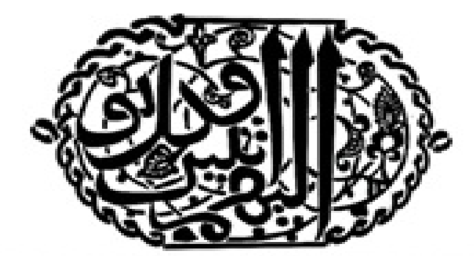
شكل (٣) أجزاء من الشريط الذي يحزم الصحن والأواوين بالزاوية العدوية (زاوية زين الدين يوسف)، تفريغ الباحث.

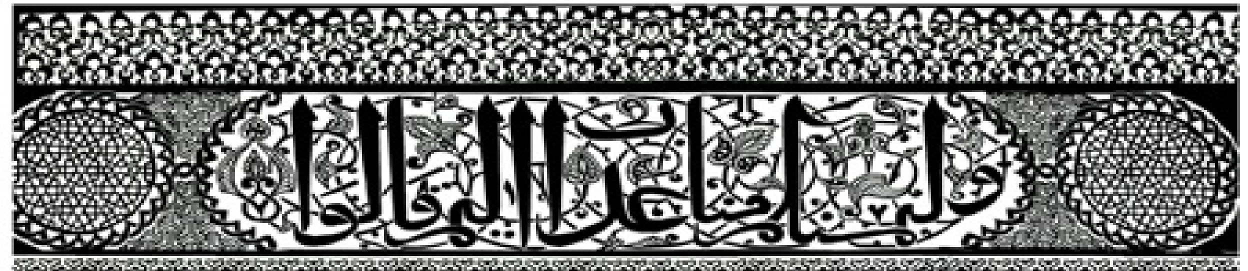


شكل (٤) أجزاء من الشريط الذي يحزم الصحن والأواوين بالزاوية العدوية (زاوية زين الدين يوسف)، تفريغ الباحث.

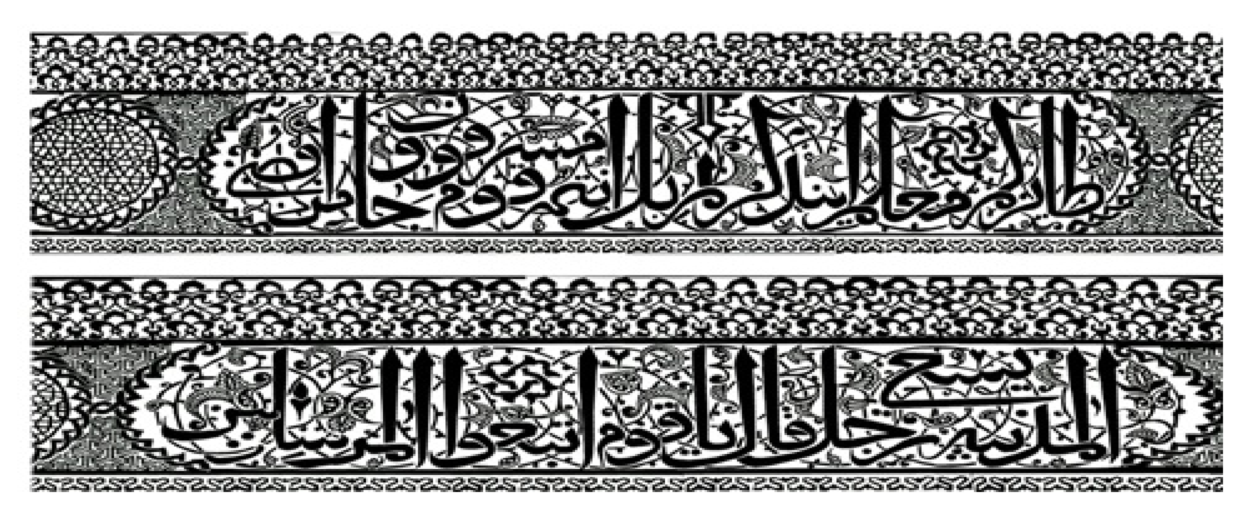


شكل (٥) أجزاء من الشريط الذي يحزم الصحن والأواوين بالزاوية العدوية (زاوية زين الدين يوسف)، تفريغ الباحث.

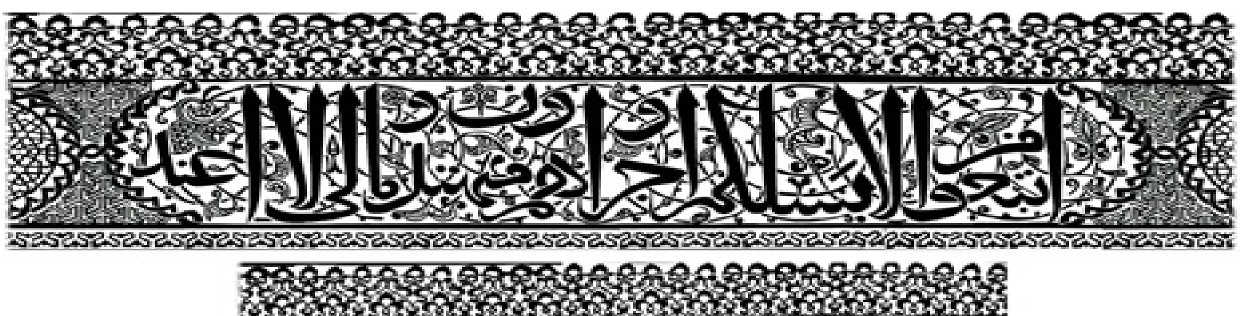


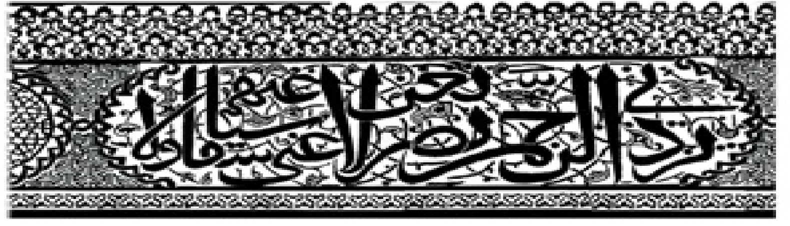


شكل (٦) أجزاء من الشريط الذي يحزم الصحن والأواوين بالزاوية العدوية (زاوية زين الدين يوسف)، تفريغ الباحث.

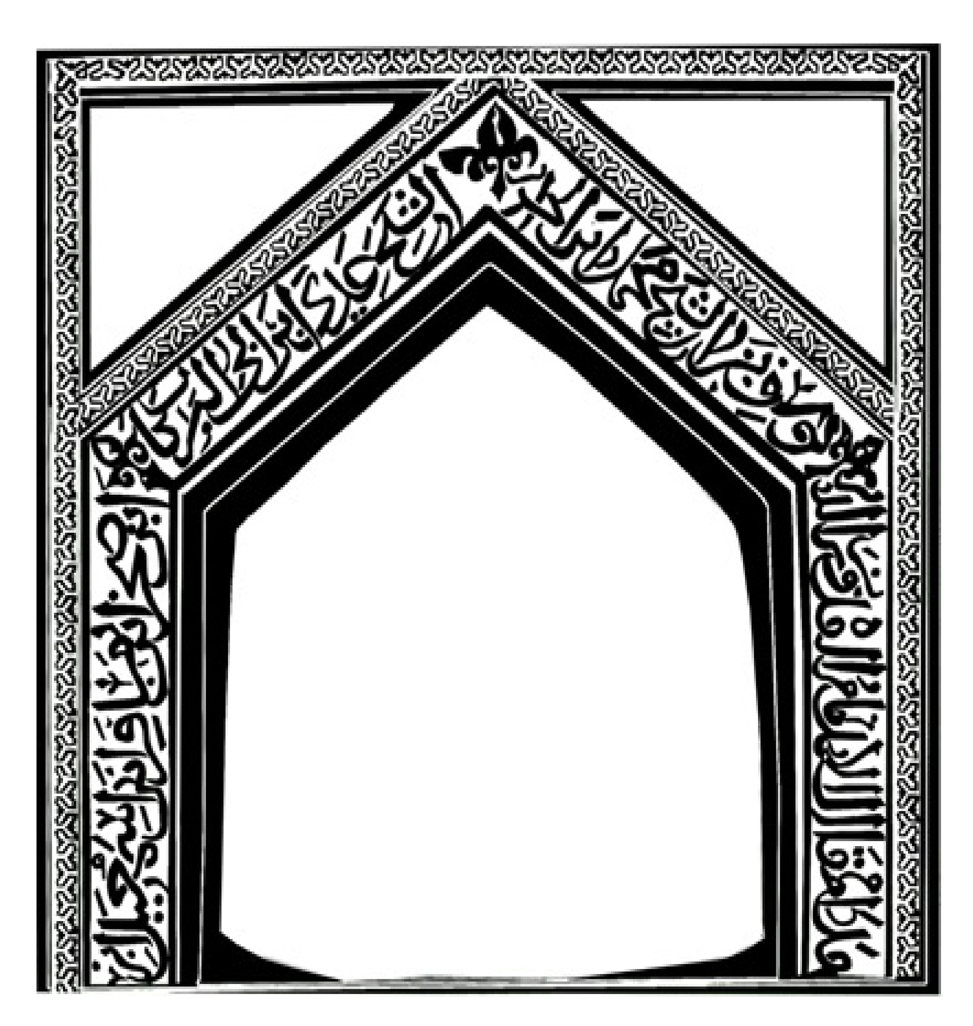


شكل (٧) أجزاء من الشريط الذي يحزم الصحن والأواوين بالزاوية العدوية (زاوية زين الدين يوسف)، تفريغ الباحث.



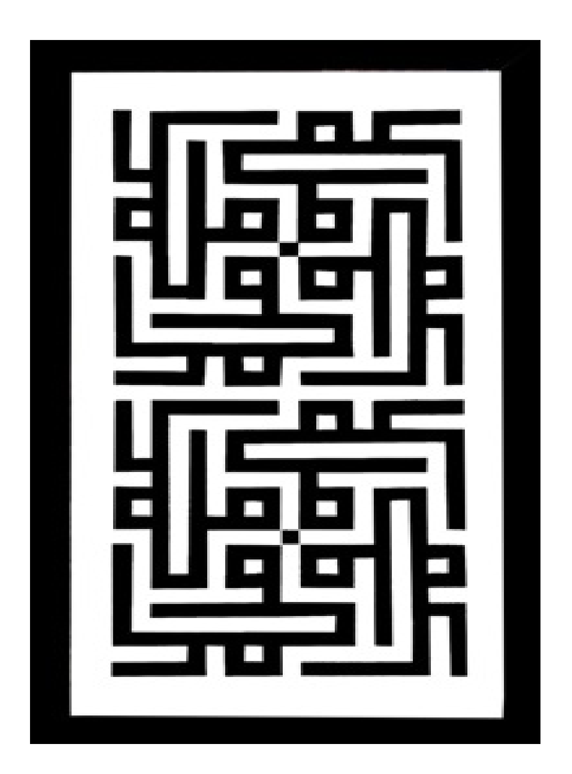


شكل (٨) أجزاء من الشريط الذي يحزم الصحن والأواوين بالزاوية العدوية (زاوية زين الدين يوسف)، تفريغ الباحث.

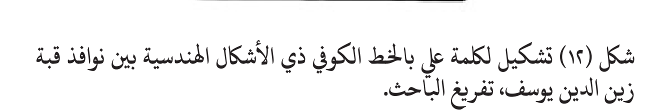


شكل (٩) الشريط الذي يؤطر عقد المحراب الذي يحوي نسب الشيخ زين الدين يوسف، تفريغ الباحث.

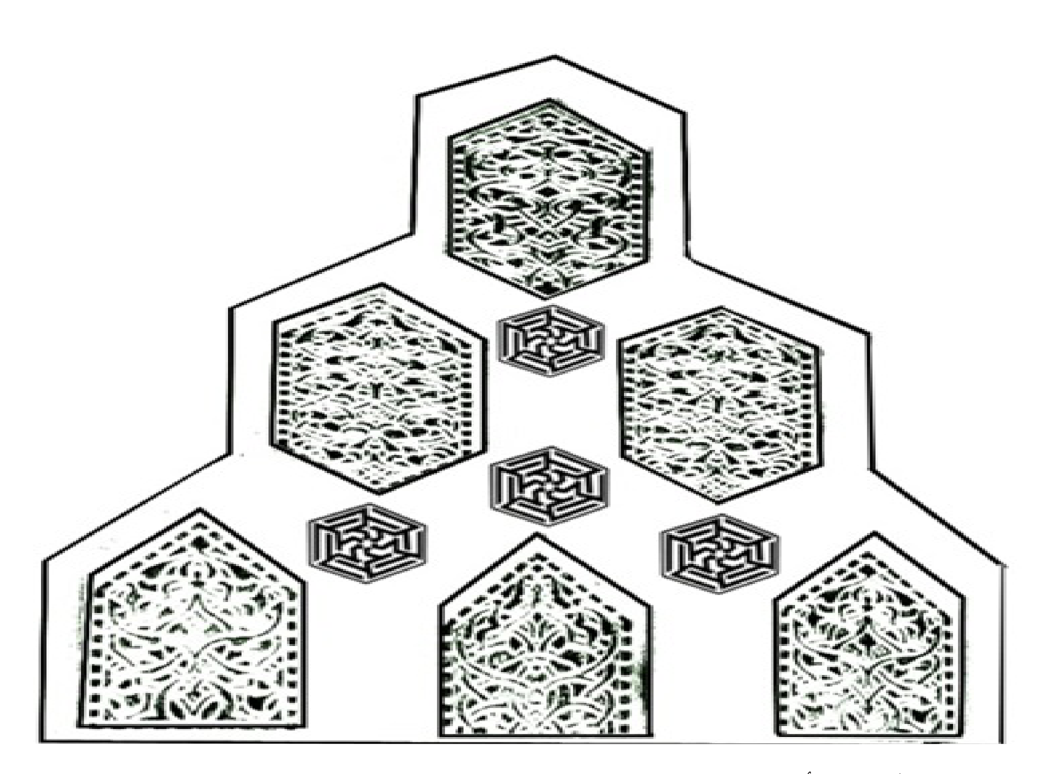
شكل (١٠) نص التوسل بالشيخ عدي بن مسافر بمدخل قبة زين الدين يوسف، تفريغ الباحث.



شكل (١١) تشكيل لكلمتي محمد وعلي بالخط الكوفي ذي الأشكال الهندسية على جانبي محراب قبة زين الدين يوسف، تفريغ الباحث.



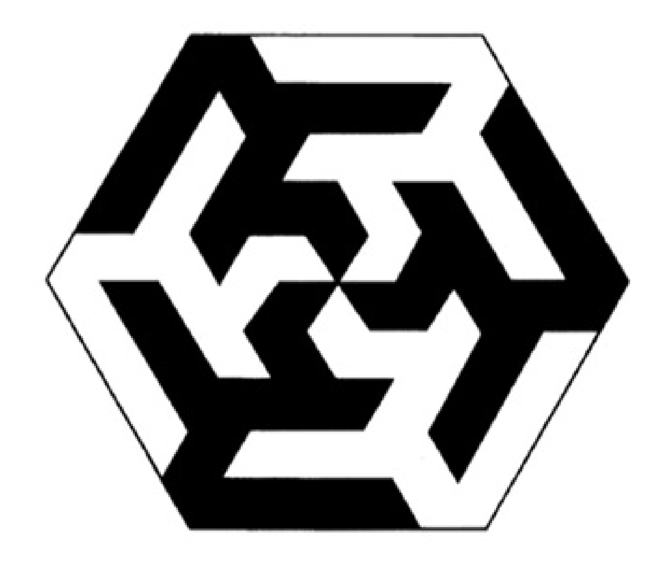
شكل (١٢) تشكيل لكلمة علي بالخط الكوفي ذي الأشكال الهندسية بين نوافذ قبة زين الدين يوسف، تفريغ الباحث.



شكل (١٣) تشكيل لكلمة علي بالخط الكوفي ذي الأشكال الهندسية بين نوافذ قبة زين الدين يوسف، تفريغ الباحث.



شكل (١٤) لوح خشبي بجامع تغري بردي "جامع الموازيني" بحلب بالخط الكوفي الهندسي (٧٩٩هـ/ ٩٦-١٣٩٧م)، به اسم علي في شكل سداسي مكرر ست مرات، تفريغ الباحث.



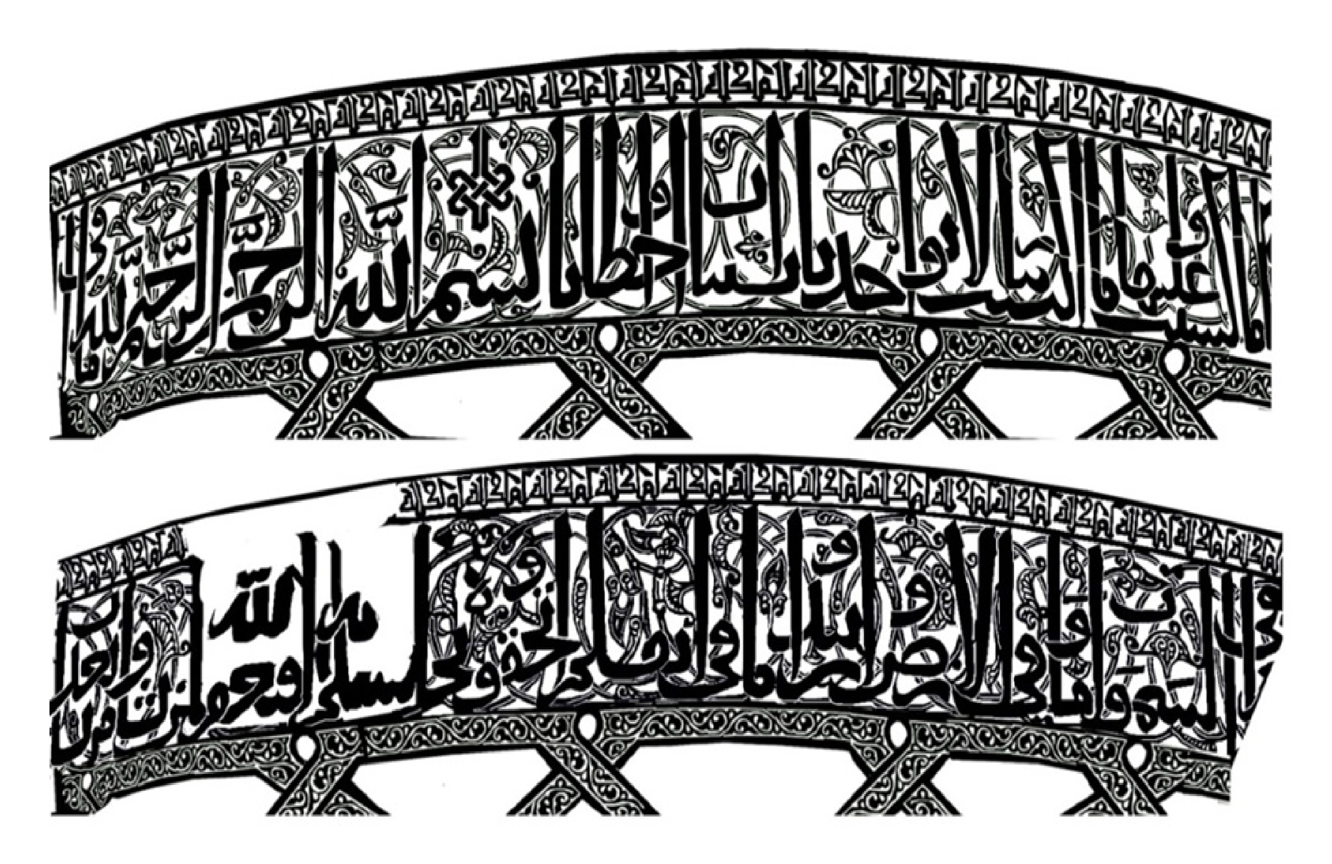
شكل (١٥) تشكيل لكلمة علي بالخط الكوفي في شكل سداسي ثلاث كلمات بارزة وثلاث كلمات غائرة فوق عقد مدخل قصر الملك شروان شاهس، في مدينة باكو بأذربيجان، عن:

M. Ahuja and A.L. Loeb, 'Tessellations in Islamic Calligraphy', *Leonardo*, Vol. 28, No. 1 (1995), Fig. 1.

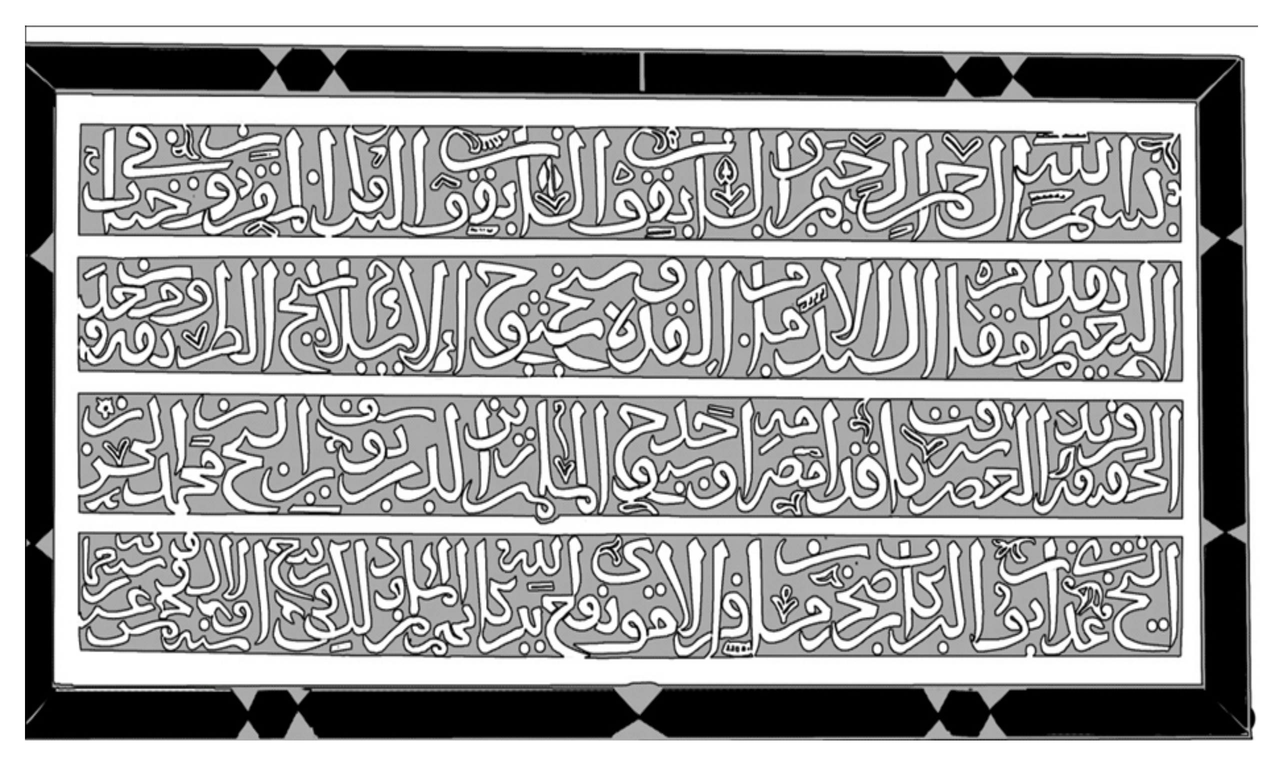




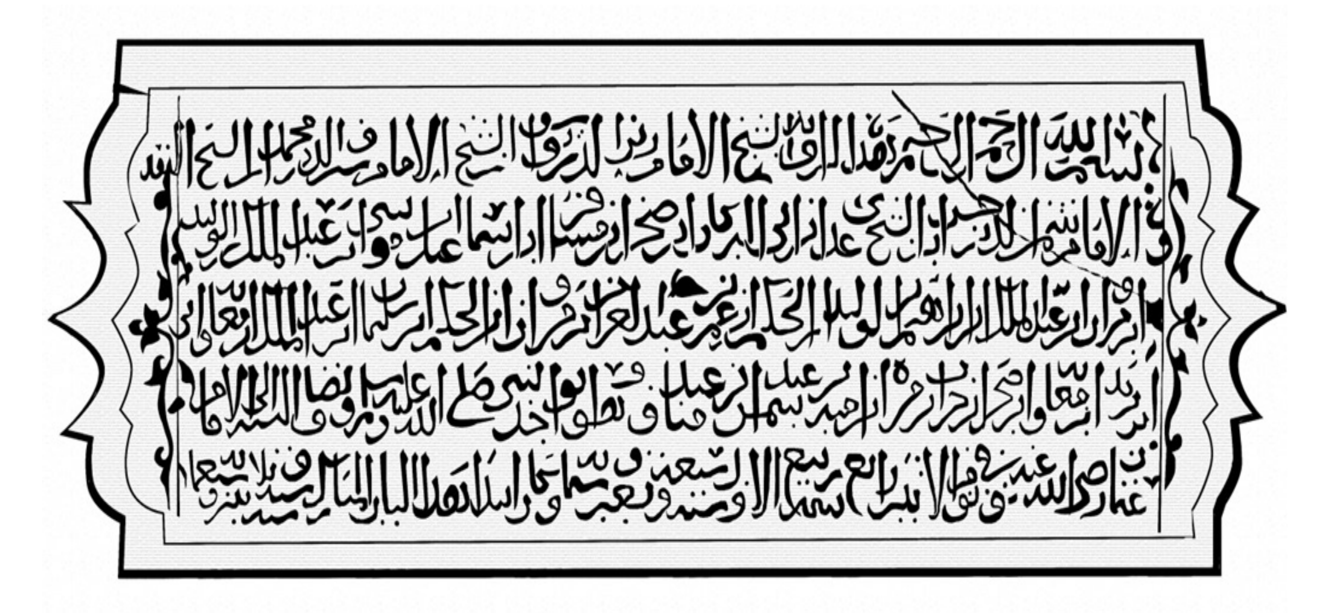
شكل (١٦) الشريط الكتابي الذي يزخرف قطب قبة زين الدين يوسف، تفريغ الباحث.



شكل (١٧) الشريط الذي يحزم رقبة قبة زاوية زين الدين من الخارج، تفريغ الباحث.



شكل (١٨) نقش تعيين مقام الشيخ زين الدين وتأريخ البناء الجديد الحالي (٧٢٥هـ/ ١٣٢٥ م)، تفريغ الباحث.



شكل (١٩) نقش تأسيس باب الزيادة التي أُلحِقت بالزاوية من الأمام وتقدمتها نحو الشارع (٦٣٧هـ/ ١٣٣٥م)، تفريغ الباحث.

الهوامش

* باحث في الآثار الإسلامية؛ faragelhussiny2021@yahoo.com.

١ أثر رقم ١٧٢، وقد سُجِّل الأثر في عداد الآثار وعمل المقايسات والرسومات سنة ١٨٩٢م، ثم أجريت له أعمال الصيانة والترميمات وإزالة التعديات سنة ١٩٠٦م، وسنة ١٩١٥م. انظر: أحمد تيمور باشا، اليزيدية ومنشأ نحلتهم، المطبعة السلفية (القاهرة، ١٩٢٨م)، ٣٠؛ عبد الرحمن زكي، موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام (القاهرة، ١٩٨٧م)، ١١٧؛ العربي أحمد رجب علي، شارع القادرية دراسة أثرية حضارية منذ نشأته وحتى نهاية العصر العثماني (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، ١٩٩٨م)، ٧٠–٧١.

٢ شارع القادرية يبدأ من باب القرافة بميدان السيدة عائشة وينتهي إلى جهة الخلاء قبلي القاهرة من جهة الإمام الشافعي والإمام الليث ابن سعد، وعرف بذلك لوجود جامع القادرية (زاوية زين الدين يوسف التي نحن بصددها)، عن هذا الشارع وما به من الآثار. انظر: علي مبارك باشا، الخطط التوفيقية، الخطط الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، الجزء الثاني (مطبعة بولاق، ١٣٠٤ هـ)، ١١٢.

٣ المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي، ت ٨٤٥ هـ/ ١٤٤٢م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، الجزء الثاني، مطبعة بولاق (القاهرة، ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م)، ٤٣٥؛ علي مبارك باشا، الخطط التوفيقية، الجزء الثاني، ١١٢؛ عبد الرحمن زكي، موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام، ١٧٧؛ العربي أحمد رجب علي، شارع القادرية، ٤١.

٤ الزاوية: مكان الانزواء، ويقال زاوية الشيء أي أنها جمعت قطرًا منه، وانزوى القوم أي انضم بعضهم إلى بعض، وكانت الزوايا الأولى في المساجد الجامعة في واقع أمرها مكانًا ينزوي فيه جماعة من الطلبة ويشتغلون بالدرس والعلم ممن يتحلقون حول شيخ، فقد كان للشافعي زاوية بجامع عمرو بالفسطاط عرفت به درس بها فقه مذهبه، وكان بالجامع نفسه عدة حلقات دراسية أطلق عليها زوايا، وكان الدين هو الغرض الأول منها، ولكنها تطورت مع الزمن وحكمها قوانين التطور ما حكم كل شيء فكان ظاهرها الدين لكن في حقيقتها طابع عقائدي أو سياسي، وانتشرت في كل أرجاء العالم الإسلامي، ووجدت زوايا لطوائف متعددة وأخرى لشيوخ يعتقد فيهم، ولما انتشر التصوف وتعددت طرائقه وتباينت مشاربه ودخل عليه كثير من البدع والترهات؛ اتجه أتباع الطرق إلى اتخاذ زوايا لهم، يحيون فيها طريقتهم الخاصة بهم، وعرف بعضها بزوايا المجاورين لملازمتهم تلك الزوايا؛ حيث يجدون في رحابها الراحة والسكينة التي تدفعهم إلى العكوف فيها كزاوية الكوراني وزاوية الركراكي في أرض المقس وزاوية الشيخ خضر خارج باب النصر وزاوية ابن منظور وزاوية نصر خارج باب الفتوح، والزاوية اليونسية والقلندرية وزاوية قبة النصر. دولت عبد الله، معاهد تزكية النفوس في مصر في العصر الأيوبي والمملوكي (القاهرة، ١٩٨٠م)، ٥٢–٥٧؛ محمد محمد أمين وليلى إبراهيم، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية (٦٤٨: ٩٢٣ هـ/ ١٢٥٠: ١٥١٧م)، (القاهرة، ١٩٩٠م)، ٥٩. وتصميم الزاوية من الناحية المعمارية أقرب إلى مخطط المدارس ذات الإيوانات منه إلى المسجد، وهي كالخانقاه، وقد ألحقت بها قاعات خاصة لتأمين خدمات متعددة، ويكون بها في الغالب ضريح مؤسسها أو أحد رجال الله الصالحين، تقام فيها الصلوات الخمس ما عدا صلاة الجمعة والعيدان، ومن الناحية الإدارية يكون لها شيخ مسئول وخدم وموظفون لرعاية المقيمين والوافدين،

ولإيواء الغرباء والفقراء والمتعبدين وإطعام الجميع وتكسيتهم وصرف رواتب شهرية لهم وأجرة الحمام العام وما يحتاجون إليه من زيت المصابيح وصابون التنظيف وتوزيع الحلوى عليهم في كل ليلة جمعة، فهي مخصصة أصلاً لاستقبال المتصوفة المنتقلين عبر البلاد من زاوية لأخرى، سعيًا وراء المعرفة ورغبة في العطاء، وكانت هناك زوايا للرجال وأخرى للنساء العزاب أو الأرامل وأخرى للمتزوجين، وكان الأمراء في مصر بشكل خاص يتنافسون في بنائها. عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، جروس برس (بيروت، ١٩٨٨م)، ٢١١.
كما ضمت الزوايا أيضًا قاعات للدرس وقراءة الأذكار وخلاوي يعتكف فيها الطلاب، ومزودة بجميع المستلزمات الضرورية من فرش وأدوات فضلاً عن المخازن لحفظ المؤن والأثاث، وتلحق ببعض الزوايا دور للضيافة مفتوحة على الدوام لاستقبال المريدين والفقراء وأبناء السبيل دون أجر، بل يقوم بعضها بتقديم الطعام الذي يأتي عن طريق واردات الوقف وتبرعات المحسنين، وعادة ما يتوفر في هذه الأبنية مرافق أخرى مكملة كالميضأة والحمامات وتحفر في صحونها صهاريج، وفي بعض الأحيان يكون الوقف على هذه الزوايا أراضيَ وأطيانًا وعقارات وأسواقًا وخانات وحمامات يصرف من ريعها على الزاوية وأيضًا من النذور التي تجتمع في صناديق النذور الموجودة في ضريح الولي التي يرصدها الناس رجاء قضاء الحاجات. وفي النهاية يجب أن نذكر أن الزاوية قامت بدور التصوف والتعليم والإيواء وكفالة المتصوفة المنقطعين والدعوة الإسلامية والتربية الروحية والحث على الجهاد، وكان لها دور كبير في تطور فن الإنشاد الديني والموسيقى المصاحبة له والأشعار التي تقال فيه. سعدى إبراهيم الداراجي، زليتن دراسة في العمارة (بنغازي، ٢٠١٢م)، ١٠٤–١٠٨.

٥ D. Behrens-Abouseif, *Islamic Architecture in Cairo: An Introduction* (Cairo, 1989), 149; Behrens-Abouseif, *A History of the Architecture and its Culture*, 294.

ومن العمائر الأخرى التي عرفت بالزاوية في نقشها الإنشائي زاوية الشيخ رجب الشيرازي الذي أنشأها السلطان برقوق حين كان أتابكًا للعساكر عام ٧٨١هـ/ ١٣٧٩م؛ ونصها كالتالي:
بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذه الزاوية المباركة من فضل الله وحسن توفيقه سيدنا المقر الأشرف السيفي برقوق أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره بجاه محمد وآله برسم
خادم الفقراء والمساكين الشيخ رجب الشيرازي الحيدري

وجعلها وقفًا لا يبدل ولا يغير فإنما إثمه على الذين يبدلونه سنة أحد وثمانين وسبعماية
انظر: كراسة لجنة حفظ الآثار العربية رقم٣١، لسنة ١٩١٤م، ٦٦.

٦ القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية (٢٥٥).

٧ مد للمقصور والصحيح (أوفى).

٨ K.A.C. Creswell, *The Muslim Architecture of Egypt* (M.A.E.) (Oxford, 1952-60), 229; L.A. Ibrahim, 'The Zawiya of Shaikh Zain al-Din Yusuf in Cairo', *Mitteilungen des Deutschen Archaologischen Instituts Abteilung, Kairo* 34 (1978), 80-81; D. Behrens-Abouseif, *Cairo of the Mamluks, A History of the Architecture and its Culture, I.B.Tauris* (New York, 2007), 16;
العربي أحمد رجب علي، شارع القادرية دراسة أثرية حضارية، ٥٤–٥٦.

٩ أحمد تيمور، اليزيدية ومنشأ نحلتهم، ٣٢.

١٠ أحمد تيمور، اليزيدية ومنشأ نحلتهم، ٣٠.

١١ علي مبارك، الخطط التوفيقية، ج٥، ٦٨.

١٢ القرآن الكريم، سورة يس، الآيات (من ١–إلى ٢٧).

١٣ لوحظ أن رسم، الآيات في كثير منها يوافق قراءة الحسن البصري ورسم السجاوندي عن الأعمش عن طلحة بن مصروف وكلهم من العراق أو إيران.

١٤ تكملة النص من الباحث وهذا الدعاء (اللهم أعد بركات القرآن العظيم) شائع في الثقافة الدينية آنذاك، وورد في توابيت الأضرحة كتابوت تربة السادات الثعالبة، وتابوت أبي نضلة في تربة الخلفاء العباسيين. انظر: كراسات لجنة حفظ الآثار العربية، الكراسة الثانية (١٨٨٤م)، ٤٦.

١٥ كراسات لجنة حفظ الآثار، الكراسة التاسعة، ١٨٩٢ م، ٦١؛
Ibrahim, *The Zawiya of Shaikh Zain al-Din Yusuf in Cairo*, 79;
العربي أحمد رجب علي، شارع القادرية دراسة أثرية حضارية، ٥١–٥٢؛
Behrens-Abouseif, *Islamic Architecture in Cairo*, 111-112; Sheila Blair, *Sufi Saints and Shrine, Architecture in the Early Fourteen Century*, vol. 7 (Muqarnas, 1990), 37-38; Behrens-Abouseif, *A History of the Architecture and its Culture*, 152; Behrens-Abouseif, *Cairo of the Mamluks*, 152.

١٦ السخاوي (نور الدين على بن أحمد بن عمر بن خلف بن محمود، من علماء القرن العاشر)، تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والبقاع المباركات، ١٩٠–١٩١؛ أحمد تيمور، اليزيدية ومنشأ نحلتهم، ٣٣.

١٧ أحمد تيمور، اليزيدية ومنشأ نحلتهم، ٣٣. والسبب في اتخاذ جماعة القادرية هذه الزاوية عندما نزحوا من العراق إلى مصر هو أن الشيخ عبد القادر الجيلاني كان من أخص أصدقاء الشيخ عدي بن مسافر، وكانا رفيقَي درب الزهد والمجاهدة وكان الشيخ عبد القادر يقول: 'لو كانت النبوة تنال بالمجاهدة لنالها الشيخ عدي، فإنه أعجز المشايخ بعده'. انظر: الشعراني (عبد الوهاب أحمد بن علي، ت ٩٧٣ هـ/ ١٥٦٥م)، الطبقات الكبرى أو

لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية، تحقيق أحمد عبد الرحيم السايح وتوفيق على وهبة، الجزء الأول، ط ١ (القاهرة، ٢٠٠٥م)، ٢٤٤. كل هذا مع ملاحظة تطابق الطريقة القادرية مع الطريقة العدوية في المسلك الصوفي، ولا خلاف بينهما إلا في الأوراد والأدعية، ومن الذين دفنوا في هذه الزاوية من ذرية الشيخ عبد القادر الجيلاني ما يأتي:

– محمد بن علي بن حسين بن محمد الأكحل بن شرشيق بن محمد بن عبد العزيز بن عبد القادر الجيلاني، توفي في صفر سنة (٨٤٠ هـ/ ١٤٣٧م). بن حجر العسقلاني (شهاب الدين أحمد ابن علي، ت ٨٥٢ هـ/ ١٤٤٨م)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد عبد المعيد خان، ط٢، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الجزء الثالث، ترجمة رقم ١٢١٩ (حيدر آباد، ١٩٧٢م)، ٤٥٢؛ السخاوي (محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر ابن عثمان، ت ٩٠٢ هـ/ ١٤٩٦م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، الجزء الثامن، ترجمة رقم ٤٤٥ (بيروت، بدون ت.)، ١٧٩–١٨٠.

وقد كان هذا القبر موجودًا بإيوان القبلة في الزاوية العدوية في أواخر القرن التاسع عشر رآه أحمد تيمور باشا. انظر: أحمد تيمور، اليزيدية ومنشأ نحلتهم، ٣٦.

– موسى بن محمد بن علي بن حسين بن محمد الأكحل بن شرشيق بن محمد بن عبد العزيز بن عبد القادر الجيلاني، توفي سنة (٨٤١ هـ/ ١٤٣٨م). انظر: السخاوي، الضوء اللامع، الجزء العاشر، ترجمة رقم ٧٩١، ١٨٩؛ أحمد تيمور، اليزيدية ومنشأ نحلتهم، ٣٦.

– حسن بن محمد بن عبد القادر بن علي بن محمد الأكحل بن شرشيق بن محمد بن عبد العزيز بن عبد القادر الجيلاني، توفي في جمادى الآخرة سنة (٨٦٧ هـ/ ١٤٦٢م). انظر: السخاوي، الضوء اللامع، الجزء الثالث، ترجمة رقم ٤٨٢، ١٢٥.

– عبد القادر بن علي بن محمد بن عبد القادر بن علي بن محمد الأكحل بن شرشيق بن محمد بن عبد العزيز بن عبد القادر الجيلاني، توفي ١٦ من ذي القعدة سنة (٨٧٩ هـ/ ١٤٧٤م). السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، الجزء الرابع، ترجمة رقم ٧٣٨، ٢٧٨؛ أحمد تيمور، اليزيدية ومنشأ نحلتهم، ٣٦.

– محمد بن موسى بن محمد بن علي بن حسين بن محمد الأكحل بن شرشيق بن محمد بن عبد العزيز بن عبد القادر الجيلاني، توفي ربيع الأول سنة (٨٨٠ هـ/ ١٤٧٥م). انظر: السخاوي، الضوء اللامع، الجزء العاشر، ترجمة رقم ٢٠٦ – ٢٠٧، ٦٢؛ أحمد تيمور، اليزيدية ومنشأ نحلتهم، ٣٦.

– عبد العزيز محمد بن موسى بن محمد بن علي بن حسين بن محمد الأكحل بن شرشيق بن محمد بن عبد العزيز بن عبد القادر الجيلاني توفي سنة (٨٩٠ هـ/ ١٤٨٥م). انظر: السخاوي، الضوء اللامع، الجزء العاشر، ترجمة رقم ٦٠٢، ٢٣٣؛ التادفي (محمد بن يحيى التادفي الحنبلي، ت ٩٦٣ هـ/ ١٥٥٥م)، قلائد الجواهر في مناقب محيي الدين عبد القادر الجيلاني، وبهامشه كتاب فتوح الغيب للشيخ عبد القادر الجيلاني، مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي (القاهرة، أوائل القرن العشرين)، ٥٤–٥٥؛ أحمد تيمور، اليزيدية ومنشأ نحلتهم، ٣٦.

١٨ الشيخ علي القشلان هو أحد أعيان الطريقة القادرية أقام في زاوية المشتهى بجزيرة الروضة المعروفة بزاوية الشيخ الكازروني وتقع جوار قصر الخديو إسماعيل وكانت والدة باشا أم الخديوي إسماعيل قد جددت زاوية المشتهى، وجعلت الشيخ علي هذا مقيمًا بها ومعه سبعة دراويش ورتبت لها مولدًا سنويًّا وكل شهر ثلاثمائة قرش ديوانية. أحمد تيمور باشا، المشتهى، مجلة الرسالة، العدد ٣١ (١٩٣٤م).

١٩ أحمد تيمور، اليزيدية ومنشأ نحلتهم، ٣٣.

٢٠ صحيحها (رأى).

٢١ القرآن الكريم، سورة الأحزاب،، الآيات (من ٢٢– إلى ٢٤).

٢٢ M. Van Berchem, *Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum, Egypt*, part II, (Mémoires publiés par les Membres de la Mission Archéologique Française au Caire) (Cairo, 1894), no. 99, 151;

أحمد تيمور، اليزيدية ومنشأ نحلتهم، ٣١.

٢٣ Blair, *Sufi saints and shrine*, 38; Behrens-Abouseif, *Islamic Architecture in Cairo*, 112; Behrens-Abouseif, *Cairo of the mamluks*, 152;

العربي أحمد رجب علي، شارع القادرية دراسة أثرية حضارية، ٦٢–٦٤.

٢٤ علي مبارك، الخطط التوفيقية، الجزء الخامس، ٦٨.

٢٥ كراسات لجنة حفظ العربية، الكراسة رقم (٣٢) لسنة ١٩١٥ – ١٩١٩ م، ٦٦؛ أحمد تيمور، اليزيدية ومنشأ نحلتهم، ٣٢.

٢٦ القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآيتان (١٨–١٩).

٢٧ القرآن الكريم، سورة يس، الآيات (من ١– إلى ١٢).

٢٨ صحيحها (ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى).

٢٩ القرآن الكريم، سورة يونس، الآيتان (٦٢–٦٣).

٣٠ القرآن الكريم، سورة البقرة، الآيات (من ٢٨٤– إلى ٢٨٦). انظر: جمال عبد الرحيم، الزخارف الجصية في عمائر القاهرة الدينية، ١٥٣–١٥٤؛ العربي أحمد رجب علي، شارع القادرية دراسة أثرية حضارية، ٦٦.

٣١ Blair, *Sufi saints and shrine*, 39; Behrens-Abouseif, *Islamic Architecture in Cairo*, 150.

٣٢ صحيحها (أنشئت).

٣٣ صحيحها (ابن).

٣٤ صحيحها (بن).

٣٥ ذكر مؤلف كتاب، «التوفيقات الإلهامية» أن ربيع الأول في العام المذكور بدأ يوم الثلاثاء، وبذلك يكون يوم الثالث عشر منه يوم أحد، ولكن النقش ينص على أنه كان يوم اثنين، الصديق حليف النقش الكتابي ما في ذلك شك. انظر: محمد مختار باشا، التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنجية والقبطية، تحقيق دكتور محمد عمارة، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠م، ٧٣٠.

٣٦ Van Berchem, *Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum, Egypt*, part I, no 96, 148؛

انظر أيضًا: كراسات لجنة حفظ العربية، الكراسة رقم (٣٢) لسنة ١٩١٥ – ١٩١٩م، ٦٥.

E. Combe, J. Sauvaget, G. Weit, (RCEA) *Répertoire chronologique d'épigraphie arabe*, tome XIII, Impr. de l'Institut français d'archéologie orientale (Le Caire, 1944), no. 5042, p. 170-171.

أحمد تيمور، اليزيدية ومنشأ نحلتهم، ٣٤؛ صديق الدملوجي، اليزيدية، مكتبة الاتحاد (الموصل، ١٩٤٩م)، ١١٣.

وقد ذكر أحد الباحثين نصًا مخالفًا لما جاء في النقش، ولست أدري ما اعتمد عليه في ذلك، ولعله التبس عليه فذكر رواية السخاوي في (تحفة الأحباب وبغية الطلاب، ١٩٠) على أنها هذا النقش. انظر: العربي أحمد رجب علي، شارع القادرية دراسة أثرية حضارية، ٥٣–٥٤.

٣٧ أحمد تيمور، اليزيدية ومنشأ نحلتهم، ٣٢.

٣٨ مد للمقصور والصحيح (أوفى).

٣٩ كراسات لجنة حفظ العربية، الكراسة رقم (٣٢) لسنة ١٩١٥ – ١٩١٩م، ٦٦، أحمد تيمور، اليزيدية ومنشأ نحلتهم، ٣٢–٣٣، صديق الدملوجي، اليزيدية، ١١٢.

٤٠ القرآن الكريم، سورة الواقعة، الآيات (من ١٠– إلى ١٢).

٤١ Van Berchem, *Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum, Egypt*, part II, no 97, 149-150; E. Combe, J. Sauvaget, G. Weit, (RCEA) *Répertoire chronologique d'épigraphie arabe*, tome XIV, no. 5504 (1945), 208-209.

أحمد تيمور، اليزيدية ومنشأ نحلتهم، ٣٢؛ عادل شريف علام، النصوص التأسيسية على العمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة، دراسة مقارنة في ضوء التخطيط وما ورد بالمصادر والوثائق، (رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أسيوط، ١٩٨٦م)، ٤٤١؛ صديق الدملوجي، اليزيدية، ١١٢؛ العربي أحمد رجب علي، شارع القادرية دراسة أثرية حضارية، ٥٧؛

٤٢ العربي أحمد رجب علي، شارع القادرية دراسة أثرية حضارية، ٥٧.

٤٣ الصحيح (هذه زاوية) أو (هذه الزاوية للشيخ).

٤٤ كلمة الثقة تقرأ لأول مرة.

٤٥ الصحيح (ست).

٤٦ Van Berchem, *Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum, Egypt*, part II, no 98, 151; Combe, Sauvaget, Weit, (RCEA) *Répertoire chronologique d'épigraphie arabe*, tome XV, 1946.

٤٧ اليزيدية أو (الايزيدية حسب اللهجة الكردية) في هذه الدراسة غير يزيدية الخوارج أتباع يزيد بن أنيسة الخارجي الذي قال بأن الله تعالى يرسل نبيًّا من العجم وينزل عليه كتابًا من السماء ينسخ به القرآن الكريم، الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، ت ٥٤٨ هـ/ ١١٥٣م)، الملل والنحل، تحقيق أحمد فتحي محمد، ط٢، دار الكتب العلمية، الجزء الأول (بيروت،١٩٩٢م)، ١٣٣؛ السفراييني (عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، ت ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧م)، الفرق بين الفرق، ط٢، دار الآفاق الجديدة (بيروت، ١٩٧٧م)، ٢٦٣؛ محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي (القاهرة، د.ت)، ٧٥.

٤٨ سعيد الديوه جي، منشأ عقيدة اليزيدية وتطورها، مجلة الرسالة العدد ٥٥٧، ١٩٤٤م، ٢٢؛ عباس الغزاوي، تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم، مطبعة بغداد (بغداد، ١٩٣٥م)، ١٣–١٤؛ محمد ناصر صديقي، تاريخ اليزيدية، النشأة والفكر والمعتقدات والعادات والطقوس، ط١، دار الحوار (اللاذقية، ٢٠٠٨م)، ٢٩.

٤٩ عباس الغزاوي، تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم، ١٨–١٩.

٥٠ سعيد الديوه جي، منشأ عقيدة اليزيدية وتطورها، مجلة الرسالة العدد ٥٥٧، ٢٥؛ سعيد الديوه جي، سعيد الديوه جي، اليزيدية، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت، ٢٠٠٣م)، ٣٩.

٥١ سعيد الديوه جي، منشأ عقيدة اليزيدية وتطورها، مجلة الرسالة، العدد ٥٥٧، ٢٣.

٥٢ سعيد الديوه جي، منشأ عقيدة اليزيدية وتطورها، مجلة الرسالة، العدد ٥٥٧، ٢٤؛ سعيد الديوه جي، اليزيدية، ٣٤؛ عباس الغزاوي، تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم، ٢٥.

٥٣ سعيد الديوه جي، منشأ عقيدة اليزيدية وتطورها، مجلة الرسالة، العدد ٥٥٨، ١٨؛ عباس الغزاوي، تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم، ٢١؛ سعيد الديوه جي، اليزيدية، ٤١–١٦٦،٤٢.

٥٤ سعيد الديوه جي، اليزيدية، ٤٣.

٥٥ لالش أو ليلش قرية في اللحف من أعمال شرقي الموصل ومعنى الاسم خميرة الأرض. ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت، ت ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩م)، معجم البلدان، دار الفكر، الجزء الخامس (بيروت، ١٩٨٤م)، ٣٨.

٥٦ هكّار، – بالفتح وتشديد الكاف وراء – بلدة وناحية وقرى فوق الموصل في بلد جزيرة ابن عمر يسكنها أكراد يقال لهم الهكارية، والنسبة إليها هكاري (ياقوت الحموي، معجم البلدان، الجزء الخامس، ٤٠٨).

٥٧ أحمد تيمور باشا، اليزيدية ومنشأ نحلتهم، ٤–٥، عباس الغزاوي، تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم، ٦–٧.

٥٨ الفدي (لاح الدين خليل بن أيبك، ت ٧٦٤ هـ/ ١٣٦٣م)، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط١، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزء التاسع عشر (بيروت، ٢٠٠٠م)، ٣٥٣؛ سعيد الديوه جي، منشأ عقيدة اليزيدية وتطورها، مجلة الرسالة العدد ٥٥٨، ٢٠–٢١؛ سعيد الديوه جي، اليزيدية، ٤٩–٥٠؛ زهير كاظم، عدي بن مسافر مجدد الديانة اليزيدية، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت، ٢٠٠٥م)، ١٦–١٧.

٥٩ الذهبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، ت ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، الجزء السابع، تحقيق شعيب أرناؤط ومحمد نعيم، ط١١، مؤسسة الرسالة (بيروت، ١٩٩٦م)، ٢٠/٣٤٣٠؛ مقدمة الوصية الكبرى رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أتباع عدي بن مسافر الأموي، تحقيق محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة الضميرية، ط١، مكتبة الصديق (الطائف، ١٩٨٧م)، ٢٦؛ محمد نبيل طاهر العمري، تحقيق القول في عقيدة الشيخ عدي بن مسافر ومدى صلته باليزيدية، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، الأردن، العدد ١٨، المجلد الأول (٢٠١١م)، ١٣١.

٦٠ كتاب (الجلوة لأرباب الخلوة) من كتب الديانة اليزيدية يتضمن كلامًا في البارئ (المقصود هنا طاووس ملك) وفي قدمه وبقائه وقدرته ووعده ووعيده، وكلام عن تناسخ الأرواح وفيه أن الكتب التي بيد اتباع الديانات الأخرى باطلة. أحمد تيمور، اليزيدية ومنشأ نحلتهم، ٦؛ عباس الغزاوي، تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم، ١٨٣؛ سعيد الديوه جي، اليزيدية، ١٣٧، صديق الدملوجي، اليزيدية، ١١٥.

٦١ ابن الجبي (عبيد الله بن شبل بن أبي فراس التغلبي الهيتي، ت ٦٥٨ هـ/ ١٢٥٩م)، الرد على الرافضة واليزيدية المخالفين للملة الإسلامية المحمدية، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي وتحسين إبراهيم الدوسكي، بدون ت، ٢٤٧ – ٢٤٨؛ أحمد تيمور، اليزيدية ومنشأ نحلتهم، ١٨؛ سعيد الديوه جي، منشأ عقيدة اليزيدية وتطورها، مجلة الرسالة العدد ٥٥٩، ٢٥–٢٦؛ عباس الغزاوي، تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم، ٢١؛ سعيد الديوه جي، اليزيدية، ٤١–١٦٦،٤٢.

٦٢ سعيد الديوه جي، منشأ عقيدة اليزيدية وتطورها، مجلة الرسالة العدد ٥٥٧، ٢٤.

٦٣ مرقد الشيخ عدي بن مسافر (لوحة ١٨) الموجود في قرية عين سفني في وادي جبل لالش قضاء الشيخان على بعد ٥١ كم شمال غربي الموصل بمحافظة نينوى بالعراق، وهو مرقد مقدس يرجع إلى عصر الأتابكة يشتمل على أبنية مساحتها ٤٠٠٠ متر مربع تعلوها قبتان مخروطتان مضلعتان بضلوع قطاعها محدب، يدخل إليه عن طريق باب صغير على جانبه الأيمن على شكل حية سوداء بارزة عن الجدار. وفي عتب الباب أشكال طاووسين وأسدين، وقد كتب على المدخل عبارة، (بسم الله الرحمن الرحيم خالق السموات والأرض احفظ هذا المنزل محل الشيخ عدي الهكاري شيخ اليزيدية ٦٩٥هـ) (١٢٩٥م). وهناك نقوش كتابية عربية من العصر العثماني منها، (قد سعى بتجديد هذا المرقد علي بك بن حسين أمير الشيخان ١٣٢٤هـ)، وكتابة أخرى، (السلطان يزيد رحمه الله) و(الشيخ عدي رحمه الله) و(إن هذا ضريح الحاجي اسماعيل دونت على باب السعادة فادخلوها بسلام آمنين ١١٩٥هـ) (١٧٨٠م) و(هذا ضريح سعد بن خاولر ست زبانت في ١١٩٦هـ) (١٧٨١م) و(أيا شمس على بك ويا فارس كونا نصيبي الحسن وحظ الحسين في هذه الدنيا والآخرة)، ويدخل من الباب إلى دهليز يفضي إلى فناء به بركة ماء وعلى يسار المدخل يوجد خوخه في الجدار خلفها قبر الشيخ عدي بن مسافر محاطة برخام جليل كتبت عليه، الآية الكرسي بخط الثلث الجميل. ويوجد مرقد صغير عليه قبة مخروطية مضلعة بضلوع قطاعها محدب وبجانبه قبر أكبر منه غرفة مربعة الشكل بها قبر الشيخ الحسن بن عدي بن صخر بن مسافر المعروف بحسن البصري، وبالجانب توجد غرفة أوسع منها تعلوها قبة مخروطة مضلعة بضلوع قطاعها محدب قاعدتها مستديرة مرتفعة ارتفاعًا شاهقًا ينتهي بهلال من الذهب تعلق عليه الرايات. وللمرقد أوقاف كثيرة كانت منتشرة في أقضية نواحي الموصل قرى ومزارع وبساتين ومياه وواردات كثيرة. صديق الدملوجي، اليزيدية، ٢٠٣–٢٠٤؛ منهل إسماعيل العلي، مرقد الشيخ عدي بن مسافر وفق إضبارة مديرية أوقاف نينوى، مجلة آداب الرافدين، العدد ٥٢ (٢٠٠٨م)، ١٤٩–١٥٧.

٦٤ ابن المستوفي (شرف الدين المبارك بن أحمد اللخمي الأربيلي، ت ٦٣٧ هـ/ ١٢٣٩م)، تاريخ إربل، المسمى نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل، تحقيق سامي بن السيد خماس الصقار، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجزء الأول (بغداد، ١٩٨٠م)، ١١٤؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، الجزء الثالث، ٢٥٤؛ عباس الغزاوي، تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم، ١٦–١٧.

٦٥ إن منشأ عقيدة تقديس إبليس والاحتراز من ذكر الشيطان عند اليزيدية، أن الخير والشر من الله تعالى وأن اللعن مذموم، وكل لفظ يشتق من كلمة اللعن عندهم محرم ولا يتلفظون بكلمة الشيطان ومشتقاتها؛ لأنها عندهم تدل على الذم، لذا رمزوا له (بطاووس ملك) أو طاووس الملائكة، ثم تسرب الغلو إلى عقيدتهم باحترام طاووس ملك، متأثرين بسوفسطائية الصوفية وغلاتهم في الشيطان، كقول أحدهم: 'من لم يتعلم التوحيد من إبليس فهو زنديق، أبى أن يسجد لغير سيده!'، وأنه كان أعبد الملائكة، وأنه حمل العرش وحده ستة آلاف سنة، وأنه ما ترك في السماء رقعة ولا في الأرض بقعة إلا وله فيها سجدة وركعة، وبلغ من غلوهم في العقيدة أن جعلوا يضعون الشمع على كلمة الشيطان في القرآن الكريم بصيغها المتعددة تجنبًا من ذكرها. للاستزادة عن هذه القضية؛ انظر: عباس الغزاوي، تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم، ٥٢–٥٣، ٥٨؛ سعيد الديوه جي، اليزيدية، ٤١؛ صديق الدملوجي، اليزيدية، ٥–٦.

٦٦ كان هذا قبل الثورة الرقمية للمعلومات وقبل شيوع مواقع التواصل الاجتماعي في السنوات القليلة الأخيرة، فكتبهم صارت ميسرة وسهلة المنال وعقائدهم أصبحت معروفة غير مستورة، وصدرت مؤلفات عديدة حديثة في حقل الدراسات اليزيدية لمؤلفين من اليزيدية أنفسهم؛ مثل كاظم حبيب وزهير كاظم عبود، ومؤلفين آخرين من الكرد؛ أمثال خليل جندي وخدر بير سليمان وعبد الرحمن المزوري؛ حملت هذه الدراسات أفكارًا جديدة، سعيًا منهم إلى زعزعة بعض القناعات الراسخة حول اليزيدية. وتتسم هذه الدراسات أيضًا بالبراجماتية والفجاجة والتخمينات والانتقائية وعدم الحيادية وإرجاع كل عقائدهم إلى ما قبل الإسلام. كما أنهم أطلقوا عدة فضائيات تبث معتقداتهم وتراثهم، وقد جعلهم هذا كله يلجأون إلى تبسيط عقائدهم وتأويل نصوصهم وتفسيرها تفسيرًا يلائم محيطهم الإسلامي، وينفي تأليههم ليزيد بن معاوية، بل وينفي صلة ديانتهم به وينفي عبادتهم للشيطان. وقد نكبوا في العام الفائت بغلو آخر، من جماعة أخرى وهي الجماعة المتطرفة المسماة اختصارًا بداعش والتي نكلت بهم شر تنكيل وأقبحه.

٦٧ صديق الدملوجي، اليزيدية، ٨٦.

٦٨ سعيد الديوه جي، اليزيدية، ٧٥–٨٠. انظر تفاصيل ذلك في: ابن المستوفي، تاريخ إربل، الجزء الأول، ١١٧؛ الذهبي (شمس الدين محمد بن قايماز التركماني، ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام، ط٢، تحقيق عمر تدمري، دار الكتاب العربي، الجزء السابع والأربعون (بيروت، ١٩٩٣م)، ٢٤٧–٢٤٩؛ ابن العماد الحنبلي، (عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الدمشقي، ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٩م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤط ومحمود الأرناؤط، ط١، دار ابن كثير، الجزء السابع (دمشق – بيروت، ١٩٨٦م)، ٣٩٧ –٣٩٨؛ مقدمة كتاب اعتقاد أهل السنة والجماعة، لمؤلفه عدي بن مسافر وتحقيق حمدي عبد المجيد السلفي وتحسين إبراهيم الدوسكي، ٩.

٦٩ ابن العبري (أبو الفرج غريغوريوس بن هارون المالطي، ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، تاريخ مختصر الدول، تحقيق أنطون صالحاني، المطبعة الكاثولكية (بيروت، ١٨٩٠م)، ٤٦٦.

٧٠ ذكر الأصفهاني قبيلة الهكارية التي كانت تسكن جبل لالش ضمن القبائل التي شكلت عماد الجيوش الأيوبية. انظر: الأصفهاني (عماد الدين محمد بن محمد بن صفي الدين، ت ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م)، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمود صبح، الدار القومية (القاهرة، ١٩٦٠م)، ٣٢٨.

٧١ درية عوني وآخرون، الأكراد في مصر عبر العصور، ط١ (القاهرة، ٢٠١١م)، ٧٠.

٧٢ ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي، ت ٧٢٨ هـ/ ١٣٢٧م)، مجموعة الفتاوي لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق عامر الجزار وأنور الباز، ط٣، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع (المنصورة، ٢٠٠٥م)، ٢٣٣؛ سعيد الديوه جي، اليزيدية، ٤٩.

٧٣ ابن الجزري (أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبي بكر القرشي، ت ٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م)، تاريخ حوادث الزمان وأبنائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، ط١، تحقيق عمر تدمري، المكتبة العصرية، الجزء الأول (بيروت، ١٩٩٨م)، ٢٧٠.

٧٤ المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، الجزء الثالث – القسم الأول، ٧٠٩.

٧٥ ابن الجبي، الرد على الرافضة واليزيدية، ٢٤٣–٢٦٠؛ ابن تيمية، مجموعة الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، ٢٣٦–٢٤٥.

٧٦ راجع، ابن تيمية مجموعة الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، ٢٣٦–٢٤٥؛ ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي، ت ٧٢٨ هـ/ ١٣٢٧م)، الوصية الكبرى رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أتباع عدي بن مسافر الأموي، تحقيق محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة الضميرية، ط١، مكتبة الصديق (الطائف، ١٩٨٧م)، ٢٥–٣٤؛ أحمد تيمور، اليزيدية ومنشأ نحلتهم، ٤٣–٤٥؛ عباس الغزاوي، تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم، ١٧–١٨.

٧٧ راجع: ياسر بن عبد الرحمن الأحمدي، رسالة ابن تيمية إلى أتباع عدي بن مسافر، دراسة وصفية تحليلية، مجلة الحجاز للدراسات الإسلامية والعربية، العدد٢٠ (٢٠١٧م)، ١٧٣–١٩٠؛ صديق الدملوجي، اليزيدية، ٤٢٢–٤٢٧.

٧٨ انظر: ابن تيمية، الوصية الكبرى، ٥٦–٥٨؛ ياسر بن عبد الرحمن الأحمدي، رسالة ابن تيمية إلى أتباع عدي بن مسافر، ١٧٣–١٩٠.

٧٩ أحمد تيمور، اليزيدية ومنشأ نحلتهم، ١٣.

٨٠ الآفاقية أي الرحل السفار أو الضارب في آفاق الأرض ولا ينسب إلى وطن، فالآفاق هي نواحي الأرض أو أطرافها شرقها وغربها، يقال شخص يضرب آفاق الأرض، ورجل أفقي منسوب إلى الآفاق أو إلى الأفق إذا كان من آفاق الأرض أي نواحيها. انظر: ابن منظور (محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، ت ٧١١ هـ/ ١٣١١م)، لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت، بدون ت.، الجزء الثاني، ٩٦) .

٨١ Gaube, *Arabische Inschriften aus Syrien* (Beirut, 1978), 31, no. 46, pl.V,i

٨٢ يجوز أن يكون المقصود بالزاوية هنا الزاوية العدوية القائمة الموجودة والتي نحن بصدد دراسة نقوشها الكتابية. وقد يكون المقصود بها زاوية أخرى فيها أنصار الشيخ زين الدين العدوي السياسي وابنه، فالقرافة كانت تعج بالمنشآت الدينية.

٨٣ ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيى، ت ٧٤٩ هـ/ ١٣٤٨م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق كامل سليمان الجبوري، ط١، دار الكتب العلمية، الجزء الثامن (بيروت، ٢٠١٠م)، ١١٣؛ الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، الجزء الأول، ٦٢١–٦٢٢؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، الجزء الأول ٤١٤؛ المقريزي، الخطط، الجزء الثاني، ٤٣٥؛ المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، الجزء الثالث – القسم الأول، ٧٠٩؛ السخاوي، تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والبقاع المباركات، ١٩٠–١٩١.

٨٤ المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، الجزء الثالث – القسم الأول، ٧٠٩؛ السخاوي، تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والبقاع المباركات، ١٩١–١٩٢. وممن أورد هذه القضية من المحدثين أحمد تيمور، اليزيدية ومنشأ نحلتهم، ٢٦؛ سعيد الديوه جي، اليزيدية، ٩١–٩٧؛ صديق الدملوجي، اليزيدية، ١٠١–١٠٤، وغيرهم كثير.

٨٥ السخاوي، تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والبقاع المباركات، ١٩٠–١٩١.

٨٦ قيل في سبب التسمية أنه كان ذات مرة في إحدى سياحاته يسير في الطرقات، وقد أصابه عطش شديد، وإذ به يرى كوز ماء مرطب في كوة أحد المنازل فاشتهى أن يروى به غلته، وجلس تحت الكوة ريثما يخرج صاحب الدار فيأذن له الشرب، ولكنه ينام ويرى في منامه هذا حورية عظيمة، فقال لها، يا ستي لمن أنت؟ قالت، لمن يخالف عن نفسه ويترك شهوة الماء، فقال: ما بقي لي حاجة في الماء، وضربت الحورية الكوز فانكسر واستيقظ الشيخ على إثر وقعه على الأرض. ابن الزيات (أبو عبد الله محمد بن ناصر الدين الأنصاري، ت ٨١٤هـ/ ١٤١١م)، الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة في القرافتين الصغرى والكبرى، جمع وترتيب أحمد تيمور باشا (القاهرة، ١٩٠٧م)، ١٨٦–١٨٧.

٨٧ اليونيني (قطب الدين موسى بن محمد بن أحمد البعلبكي الحنبلي، ت ٧٢٦ هـ/ ١٣٢٦م)، ذيل مرآة الزمان، الجزء الرابع، ط٢، دار الكتاب الإسلامي (القاهرة، ١٩٩٢م)، ١٤٨.

٨٨ القلقشندي (أحمد بن علي بن أحمد، ت ٨٢١هـ/ ١٤١٧م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، سلسلة الذخائر، الجزء الحادي عشر، طبعة مصورة عن طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، الهيئة العامة لقصور الثقافة (القاهرة، ٢٠٠٥م)، ١٢١، ٣٧٠؛ المقريزي، الخطط، الجزء الثاني، ٤١٥؛ حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، الجزء الثاني، دار النهضة العربية (القاهرة، ١٩٦٦م)، ٦٣٩–٦٤٣.

٨٩ الخانقاه الصلاحية (سعيد السعداء) وقفها السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة (٥٦٩هـ/ ١١٧٣م) على الصوفية الواردين من الآفاق، وهي ما زالت باقية إلى الآن في بخط رحبة باب العيد، كانت في مقابل دار الوزارة الفاطمية قبل اندثارها، وهي في الأصل هي دار لسعيد السعداء أحد خدام القصر الفاطمي أيام المستنصر بالله، ثم آلت إلى الصالح طلائع بن رزيك الوزير الفاطمي ثم لولده ثم للوزير شاور، ثم حولها صلاح الدين خانقاه وعرفت بدويرة الصوفية، ورسم أن ينعت شيخها رئيس مشايخ الصوفية ويلقب بشيخ الشيوخ، وكان ينزل بها الأكابر من الصوفية ولا يتولى مشيختها إلا أعاظم رجال الدولة من الأكابر والأعيان من الصوفية، وقد استمر شيخ خانقاه سعيد السعداء ينعت بشيخ الشيوخ؛ إلى أن أنشأ السلطان الناصر محمد بن قلاوون الخانقاه الناصرية بسرياقوس سنة (٧٢٥ هـ/ ١٣٢٥م)؛ فجعل شيخها هو من صاحب هذا اللقب، ثم تدهور اللقب في أوائل القرن التاسع الهجري، فأصبح كل شيخ من شيوخ الخوانق ينعت به. المقريزي، الخطط، الجزء الثاني، ٤١٥.

٩٠ القلقشندي، صبح الأعشى، الجزء السادس، ١٦٣.

٩١ محمد عبد الستار عثمان، نظرية الوظيفة بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع (الإسكندرية، ٢٠٠٠م)، ١٧٦ – ١٧٧؛ أحمد صبحي منصور، العقائد الدينية في مصر المملوكية بين الإسلام والتصوف، سلسلة تاريخ المصريين (١٨٦)، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة، ٢٠٠٠م)، ٣٨–٣٩.

٩٢ دليل الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة، المجلس الأعلى للآثار، وزارة الثقافة، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار بمجلس الوزراء، الإصدار الأول (٢٠٠٠م)، ٦٢؛ عاصم محمد رزق، أطلس العمارة الإسلامية والقبطية بالقاهرة، الجزء الثالث، القسم الثاني، ط١، مكتبة مدبولي (القاهرة، ٢٠٠٣م)، ٢٨٨.

٩٣ السخاوي، تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والبقاع المباركات، ١٩٠–١٩١.

٩٤ أحمد تيمور، اليزيدية ومنشأ نحلتهم، ٣٣.

٩٥ الوقف في الشريعة الإسلامية، هو حبس العين «عقارًا أو أرضًا أو غير ذلك». ويرجع أصله إلى فكرة الصدقة الجارية التي تتضح من قول النبي ﷺ: 'إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث منها صدقة جارية' الحديث. وقد انتشر هذا النظام منذ بداية العصر الإسلامي في كل الأقطار، ويكون الوقف في حياة الواقف ويستمر بقاؤه بعد مماته، ويمنع التصرف في العين الموقوفة بالبيع أو الشراء أو الهبة أو التوريث أو الرهن، يصرف من ريعها على الجهات التي عينها الواقف على مقتضى الشروط التي شرطها – التي هي كنص الشارع – من وجوه البر وضروب الخير كإعانة الفقراء والمحتاجين أو بناء مسجد أو مدرسة أو على إعتاق الأرقاء أو القرض الحسن، وشمل المؤسسات الدينية وطلبة العلم والصوفية وأبناء السبيل والأيتام والحرمين الشريفين ونظافة شوارع المدينة وغير ذلك من الأمور، وكل أنواع القربات التي يتعبد ويتقرب بها إلى الله. وقد تجاوز ذلك إلى الوقف إلى ذوي القربى الذين حض الدين على صلتهم والإحسان إليهم من الأهل والأقارب والذرية، وما شابه ذلك، واتخذ الوقف ذريعة لحماية الأموال وتحصينها حتى لا يتمكن الظالمين والمتغلبين من مصادرتها والاستيلاء عليها وذلك بوقفها على المساجد والمدارس ووجوه البر بالاسم؛ ويشترط في كتاب الوقف شروطًا تمكن الواقف وذريته في أجيال متعاقبة من الانتفاع بها. محمد أبو زهرة، محاضرات في الوقف، نشر معهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية (القاهرة، ١٩٥٩م)، ٧–٨، ٥٨؛ محمد محمد أمين، الأوقاف والحياة الإجتماعية في مر (٦٤٨: ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠: ١٥١٧م)، دراسة تاريخية وثائقية، دار النهضة العربية (القاهرة،١٩٨٠م) ١، ١٦؛ محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٢٨، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (الكويت، ذو الحجة ١٤٠٨هـ/ أغسطس ١٩٨٨م)، ٧٩.

٩٦ من هذه النقوش على سبيل المثال لا الحصر، نقش المدرسة النورية بدمشق (٥٦٧هـ/ ١١٧١م) بما نصه (بسمله أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة.. محمود بن زنكي. وأوقف عليها جميع البستان...) (RCEA, t.IX, no.3291, 65)، نقش المدرسة النورية بحلب(٥٦٧ هـ/ ١١٧١م) بما نصه، (بسمله أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة.. محمود بن زنكي.. ووقف عليها.. جميع الحمام..) (RCEA, t. IX, no. 3293, 66)، نقش المدرسة الخاتونية (المرشدية) بدمشق (٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م) بما نصه، (بسملة هذا ما أوقفت.. خديجة خاتون.. وذلك حصة من حمام..) (RCEA, t. XI, no. 4350, 233) نقش البيمارستان القيمري بدمشق (٦٥٤ هـ/ ١٢٥٧م)، بما نصه، (بسمله هذا ما وقفه وحبسه وأبده ... القيمري.. على هذا البيمارستان فمن المرج...) (RCEA, t. XII, no.٤٤١١، ٨)، نقش مشهد خالد بن الوليد بحمص (٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م) بما نصه، (بسمله هذا مكتوب بما وقفه السلطان.. بيبرس.. على مصالح المشهد المعروف بخالد بن الوليد وهي..) (RCEA, t. XII, no. 4593 , 128)، نقش التربة المدرسة الظاهر بيبرس بدمشق (٦٧٦ هـ/ ١٢٧٧م) بما نصه، (بسمله الذي وقفه على هذه التربة والمدرستين ودار الحديث النبوي الحصة من قرية....) (RCEA, t. XII, no. 4743, 220)، نقش خان لاجين خارج دمشق (٦٩٠هـ/ ١٢٩١م) بما نصه، (بسمله أنشأ هذا الخان المبارك.. لاجين.. ووقف على مصالحه وعمارته وعمارة المسجد فيه ومصنع الماء فيه جميع..) (RCEA, t. XIII, no. 4946, 98)، نقش الخانقاه العزية بدمشق (٦٩٦هـ/ ١٢٩٧م) بما نصه، (بسمله هذا ما وقفه وتصدق به.. أيدمر الظاهري على الفقراء والمساكين وعلى ما نص وشرح في كتاب الوقف.. السدس من جميع) (RCEA, t, XIII., no. 5034, 164).

٩٧ الذهبي، سير أعلام النبلاء، الجزء الحادي والعشرون، ٣٩٧، ترجمة ٢٧٢.

٩٨ النعيمي (عبد القادر بن محمد الدمشقي، ت ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م)، تنبيه الطالب وإرشاد الدارس إلى أحوال دور القرآن والحديث والمدارس، المعروف 'بالدارس في تاريخ المدارس'، تحقيق جعفر الحسني، الجزء الأول، المجمع العلمي العربي بدمشق، مطبعة الترقي (دمشق، ١٣٦٧–١٩٤٨م)، ٢٥٣، ٥١٩. وانظر حديثه عن المدرسة الركنية البرانية قال، واقفها ركن الدين منكورس عتيق.. وحديثه عن المدرسة الركنية البرانية لنفس المنشئ قال: منشئها ركن الدين منكورس... وهكذا في أمثلة لا تحصى.

٩٩ السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، الجزء العاشر، ترجمة رقم ٥٤٥، ١٣٣.

١٠٠ من أمثلة النقوش التي جاء فيها ذكر لفظ الوقف مرادفًا لمعنى الإنشاء والتخصيص والقصر، نقش المدرسة الريحانية بدمشق (٥٧٥هـ/ ١١١٨٠م) بما نصه، (بسمله وقف هذه المدرسة المباركة.. ريحان بن عبد الله على المتفقهة بها على مذهب.. أبي حنيفة..) (RCEA, t.IX, no.3342, 97)، ونقش مدرسة ابن الجوزي بدمشق (٥٧٧ هـ/١١٨٢م) بما نصه، (بسمله هذا ما وقف الصاحب ....محمد بن الحسن الجوزي برسم المتفقهة على مذهب الإمام أحمد.. وأوقف عليها..) (RCEA, t.IX, no.٣٣٧٥، ١٢٠)، ونقش المدرسة الأكزية بدمشق (٥٨٧ هـ/ ١١٩١م) بما نصه: (بسمله وقف هذه المدرسة على أصحاب.. الشافعي الأمير أسد الدين أكز والدكان التي شرقيها وقف عليها..) (RCEA, t.IX, no.3449, 176) ونقش خانقاه طيبغا بحلب (٦٥٠ هـ/ ١٢٥٢م) بما نصه، (وقف هذا الرباط.. أبو سعيد طيبغا على الصوفية المستعربة المقيمين بها من اهل الدين والصلاح والسنة والجماعة..) (RCEA, t. XI, no.4353, 235)، ونقش مسجد 'أبو علي' بالإسكندرية (٦٧٨ هـ/ ١٢٧٩م) بما نصه: (بسمله.. وقف هذا المسجد المبارك ودار الحديث العبد الفقير.. رشيد التكريتي لتلاوة الكتاب العزيز وقراءة الأحاديث النبوية وطلب العلم الشريف على مذهب.. الشافعي..) (RCEA, t. XII, no.4772, 248) وأضراب هذه النقوش كثيرة.

١٠١ السخاوي، تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والبقاع المباركات، ١٨٧.

١٠٢ تسميه المؤلفات اليزيدية (عدي أو عادي أو هادي أو آدي أو الشيخآدي)، وذلك مرجعه إلى اختلاف النطق بين العرب

والأكراد، فهم لا يتقنون نطق حرف العين فيقلبونها هاءً أو همزة ممدودة، ويدغمون كلمتي الشيخ وآدي. أحمد تيمور، اليزيدية ومنشأ نحلتهم، ١٢؛ محمد نبيل طاهر العمري، تحقيق القول في عقيدة الشيخ عدي بن مسافر ومدى صلته باليزيدية، ١٢٤.

١٠٣ أحمد تيمور، اليزيدية ومنشأ نحلتهم، ١٣، وقد التبس على بعض المؤرخين لما شاع عن الزاوية بأنها زاوية القادرية فنسب الشيخ زين الدين إلى ذرية عبد القادر الجيلاني، راجع: السكري (علي ابن جوهر، ت ١٢٠١هـ/ ١٧٨٦م)، الكوكب السيار إلى قبور الأبرار، تحقيق محمد عبد الستار عثمان، دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية، ١٩٩٢م)، ٦٧.

١٠٤ انظر: ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبو بكر، ت ٦٨١ هـ/ ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، الجزء الثالث (بيروت، بدون ت)، ترجمة رقم ٤١٥، ٢٥٤؛ ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، ت ٧٧٤ هـ/ ١٣٧٢م)، البداية والنهاية، الجزء الثاني عشر، مكتبة المعارف (بيروت، ١٩٩١م)، ٢٤٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الجزء الثامن والعشرون، ٢٣٠؛ الذهبى، سير أعلام النبلاء، الجزء العشرون، ٣٤٢–٣٤٣؛ المقريزي، الخطط المقريزية، الجزء الثاني، ٤٣٥؛ خير الدين الزركلي، الأعلام، الجزء الرابع، ط ١٥، دار العلم للملايين (بيروت، ٢٠٠٢م)، ٢٢.

١٠٥ ابن تيمية، مجموعة الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، الجزء الحادي عشر، ١٠٣.

١٠٦ أولاد مروان بن الحكم هم: عبد معاوية وعبد العزيز وبشر وعبد الرحمن وأبان وعبد الله وعبيد الله وأيوب وعثمان وداوود وعمر ومحمد. ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع الزهري، ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)، الطبقات الكبير، ط١، الجزء السابع، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي (القاهرة، ٢٠٠١م)، ٤٠.

١٠٧ سامي سعيد الأحمد، اليزيدية أحوالهم ومعتقداتهم، الجزء الأول، نشر جامعة بغداد (بغداد، ١٩٧١م)، ٢٤٢؛ زهير كاظم عبود، لمحات عن اليزيدية، مكتبة النهضة (بغداد، ١٩٩٤م)، ٣٤؛ صديق الدملوجي، اليزيدية، ٧٤؛ محمد ناصر صديقي، تاريخ اليزيدية، ٥٥٧.

١٠٨ محمد نبيل طاهر العمري، تحقيق القول في عقيدة الشيخ عدي ابن مسافر، ١٢٣.

١٠٩ السخاوي، تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والبقاع المباركات، ١٩٠.

١١٠ ناصر صديقي، تاريخ اليزيدية، النشأة والفكر والمعتقدات والعادات والطقوس، ١٥٨.

١١١ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الجزء الثامن، ١١٢.

١١٢ عباس الغزاوي، تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم، ٢٨؛ صديق الدملوجي، اليزيدية، ٧٤.

١١٣ نلفت أنظار الباحثين إلى هذه الظاهر وأمثالها في النقوش وفي شواهد القبور خاصة وإلى فتح أبواب جديدة في هذا المضمار.

١١٤ للمزيد عن هذا الموضوع؛ انظر: محمد نبيل طاهر العمري، تحقيق القول في عقيدة الشيخ عدي بن مسافر ومدى صلته باليزيدية، ١٢٤؛ محسن سيدا (قراءة في كتاب 'تاج العارفين عدي بن مسافر الكوردى الهكاري ليس أمويًّا' لعبد الرحمن المزوري) مقال في موقع محاورات كورد على الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت) http://www.medaratkurd.com، ولمزيد من المعلومات حول القضايا التي أثارتها الدراسات الكردية واليزيدية الحديثة يمكن الاطلاع عليها في المؤلفات التالية:

عبود زهير كاظم، لمحات عن اليزيدية، مكتبة النهضة (بغداد، ١٩٩٤م).

عبود زهير كاظم، عدي بن مسافر مجدد الديانة الأيزيدية، (بيروت، ٢٠٠٠م).

عبد الرحمن المزوري، تاج العارفين عدي بن مسافر الكوردى الهكاري ليس أمويًّا (برلين، ٢٠٠٤م).

عبود زهير كاظم، الأيزيدية حقائق وخفايا وأوهام، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت، ٢٠٠٥م).

سالم بشير الرشيدان، أصل الإعتقاد الأيزيدي، ط١، مطبعة الثقافة (أربيل، ٢٠١٣م).

كاظم حبيب، الأيزيدية ديانة عراقية شرق أوسطية قديمة (نينوى، ٢٠١٧م).

١١٥ القرآن الكريم، سورة يونس، الآية (٦٢).

١١٦ أخرجه البخاري عن أبي هريرة. انظر: البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردربه، ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)، صحيح البخارى المسمى 'الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه' المجلد الثاني والثالث، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، حديث رقم ٦٥٠٢؛ ابن تيمية، الوصية الكبرى، ١١٨.

١١٧ سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، ط١، دندرة للطباعة والنشر (بيروت، ١٩٨١م)، ١٢٣٣.

١١٨ أحمد صبحي منصور، العقائد الدينية في مصر المملوكية، ٣٣٦–٣٣٨.

١١٩ القشيري (أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن، ت ٤٦٥ هـ/ ١٠٧٣م)، الرسالة القشيرية، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠٠١م)، ٢٩٢؛ الكاشي (كمال الدين أبو الغنايم عبد الرازق بن جمال الدين السمرقندي، ت ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م)، معجم اصطلاحات الصوفية، ط١، تحقيق عبد العال

شاهين، دار المنار (القاهرة، ١٩٩٢م)، ٧٩؛ رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ط١، مكتبة لبنان ناشرون (بيروت، ١٩٩٩م)، ١٠٥٥–١٠٥٦.

١٢٠ ابن المستوفي، تاريخ اربل، ١١٤، صديق الدملوجي، اليزيدية، ٧٧–٧٩.

١٢١ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الجزء السادس، ١٧٩–١٨٠؛ ابن تيمية، مجموع فتاوى ابن تيمة، الجزء الثالث، ٣٩٥؛ الشعراني، الطبقات الكبرى، الجزء الأول، ١١٠؛ عباس الغزاوي، اليزيدية قديمًا وحديثًا، ١٢.

١٢٢ أحمد تيمور باشا، اليزيدية ومنشأ نحلتهم، ١٧؛ ناصر صديقي، تاريخ اليزيدية، ١٤٧.

١٢٣ عباس الغزاوي، اليزيدية قديمًا وحديثًا، ١٢.

١٢٤ أحمد تيمور باشا، اليزيدية ومنشأ نحلتهم، ١٢.

١٢٥ (مصحف رش) إحدى كتب الديانة اليزيدية معناه، الكتاب الأسود وهو كتاب تاريخي سجل فيه اليزيدية تاريخهم وحوادثهم وعاداتهم وتقاليدهم. أحمد تيمور، اليزيدية ومنشأ نحلتهم، ٦؛ عباس الغزاوي، تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم، ١٨٣؛ سعيد الديوه جي، اليزيدية، ١٣٧؛ صديق الدملوجي، اليزيدية، ١١٥.

١٢٦ عباس الغزاوي، تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم، ٤٨، سعيد الديوه جي، منشأ عقيدة اليزيدية وتطورها، مجلة الرسالة العدد ٥٦١، ٢٠–٢١؛ سعيد الديوه جي، اليزيدية، ١٢٨.

١٢٧ ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقي، ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، تفسير القرآن العظيم، الجزء الثالث، ط٢، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع (الرياض، ١٩٩٩م)، ١٠٣.

١٢٨ القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية (٣٥).

١٢٩ القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية (٥٧).

١٣٠ ابن الحاج العبدري (أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري المالكي)، تعريف الأنام في التوسل بالنبي وزيارته عليه السلام، تحقيق محمد عبد الفتاح العناني، مطبعة الصدق الخيرية بالأزهر (القاهرة، ١٢٧٠هـ)، ٤؛ الخزرجي (عبد الباقي بن عبد الرحمن المقدسي الخزرجي، ت ١٠٧٨هـ/ ١٦٧٦م)، السيوف الصقال في رقبة من ينكر كرامات الأولياء بعد الانتقال، تحقيق ابن الجاوي، مطبعة ابن الجاوى (القاهرة، ٢٠١٦م)، ١٦.

١٣١ السخاوي، تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والبقاع المباركات، ٥.

١٣٢ الخزرجي، السيوف الصقال في رقبة من ينكر كرامات الأولياء بعد الانتقال، ١٨.

١٣٣ ابن تيمية، الوصية الكبرى، ٨٥، ١١٩.

١٣٤ فرج حسين فرج، النقوش الكتابية المملوكية على العمائر في سوريا (٦٥٨–٩٢٢هـ/ ١٢٦٠–١٥١٦م) دراسة آثارية فنية مقارنة (رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة سوهاج، ٢٠٠٨م)، شكل ١٥٤.

١٣٥ M. Ahuja and A.L. Loeb, 'Tessellations in Islamic Calligraphy', *Leonardo* 28, no. 1 (1995): 42-43, Fig 1.

١٣٦ اكتفينا بهذه الأسئلة التي تثير التفكير ولأن الإجابة عنها تستغرق بحثًا كاملًا، فإن تفسير البواعث التي دعت إلى نقش اسم علي بن أبي طالب في هذه الزاوية تحتاج إلى تفصيل أوسع وأشمل، ويحتاج أيضًا إلى كثير من التأني والتحقيق وإلى البحث الهادئ البعيد عن الغلو والإسراف وعن العجلة والإسراع والبعد عن إرسال الأحكام من غير روية ولا أناة ولا تدبر ولا تعمق لحقائق الأشياء.

١٣٧ ابن جني (عثمان)، الألفاظ المهموزة وعقود الهمز، تحقيق مازن المبارك، ط١، دار الفكر المعاصر (بيروت، ١٩٨٨م)، ٥٧–٦٠.

١٣٨ إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ط٩، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة، ١٩٩٠م)، ٦٦، ١٠٥.

١٣٩ إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ٧٨؛ حمدي بخيت عمران، الخصائص اللغوية للنقوش الكتابية لمجموعة من شواهد قبور جبانة أسوان، مجلة كلية الآداب بقنا (٢٠٠٦م)، ١٧–١٨، ٢١–٢٢.

١٤٠ سعيد الأفغاني، الموجز في قواعد اللغة العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت، ٢٠٠٣م)، ١٣٣.

١٤١ القرآن الكريم، سورة يس، الآيات (من ١– إلى ٢٧).

١٤٢ الوشاء (أبو الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى، ت ٣٢٥هـ/ ٩٣٦م)، الممدود والمقصور، تحقيق رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بمصر (القاهرة، ١٩٧٩م)، ٤٢–٥٥.

١٤٣ عبد العلي المسئول، معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية وما يتعلق بها، ط١، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة، ٢٠٠٧م)، ١٢٣–١٢٥، ١٣٥.

١٤٤ التواتي التواتي، اختلاف لهجات العرب في الهمز والتليين وعلاقتهما بالقراءات، مجلة مجمع اللغة العربية، الجزائر، المجلد السادس، العدد ١١ (٢٠١٠م)، ٦٢.

١٤٥ القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية (١٩).

١٤٦ القرآن الكريم، سورة النمل، الآية (٥٥).

١٤٧ القرآن الكريم، سورة العنكبوت، الآية (٢٩).

١٤٨ القرآن الكريم، سورة السجدة، الآية (٩).

١٤٩ الداني (عثمان بن سعيد، ت ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م)، المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، تحقيق نورة بنت حسن بن فهد الحميد، ط١، دار التدمرية (الرياض، ٢٠١٠م)، ٣٨٧–٣٨٩، ٣٩١؛ أبو داود (سليمان بن نجاح، ت ٤٩٦هـ/ ١١٠٢م)، مختصر التبيين لهجاء التنزيل، تحقيق أحمد بن أحمد بن معمر شرشال، الجزء الرابع، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (المدينة المنورة، ٢٠٠٢م)، ١٠٢٢.

١٥٠ ابن خالوية (الحسين بن أحمد، ت ٣٧٠هـ/٩٨٠م)، مختصر شواذ القرآن من كتاب البديع، مكتبة المتنبي (القاهرة، بدون ت)، ١٢٥.

١٥١ سعيد الأفغاني، الموجز في قواعد اللغة العربية، ١٣١–١٣٢.

١٥٢ الهوريني (الشيخ نصر الوفائي، ت ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م)، المطالع النصرية للمطابع المصرية في الأصول الخطية، تحقيق الدكتور طه عبد المقصود، ط١، مكتبة السنة (القاهرة، ٢٠٠٥م)، ٢٢٦–٢٤٢.

١٥٣ الجزري (محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف، ت ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م)، تحبير التيسير في القراءات العشر، تحقيق أحمد محمد مفلح، ط١، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الزرقاء (الأردن، ٢٠٠٠م)، ٢٣٧–٢٤١.

١٥٤ القرآن الكريم، سورة يس، الآية (٢٠).

١٥٥ القرآن الكريم، سورة القصص، الآية (٢٠).

١٥٦ القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية (١). انظر: أبو داود، مختصر التبيين لهجاء التنزيل، الجزء الثالث، ٦٢–٦٩.

١٥٧ الوشاء، الممدود والمقصور، ٢٩.

١٥٨ الداني، المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، ١٧٠–٢١٧.

١٥٩ القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية (١٥٧).

١٦٠ الداني، المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، ٢٧٣–٢٧٤.

١٦١ توفيق إبراهيم ضمرة، جلاء بصري في قراءة الحسن البصري، ط١ (طنطا، ٢٠١٠م)، ١٤٠.

١٦٢ ابن منظور، لسان العرب، ج ٣٣، ٢٩٥٩–٢٩٦٠.

١٦٣ القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية (١٣١).

١٦٤ القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية (٤٨).

١٦٥ القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية (١١٠).

١٦٦ توفيق إبراهيم ضمرة، جلاء بصري في قراءة الحسن البصري، ١٤٠.

١٦٧ القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية (١٩٧).

١٦٨ القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية (٢٠).

١٦٩ القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية (١٧٥).

١٧٠ القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية (٤٤).

١٧١ القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية (٨٠).

١٧٢ القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية (١٩٥).

١٧٣ القرآن الكريم، سورة يس، الآية (٢٣).

١٧٤ القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية (١٥٠).

١٧٥ القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية (٢٥٨).

١٧٦ القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية (٧٧).

١٧٧ القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية (٧٧). انظر: الداني، المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، ٣٦٥–٣٦٦؛ ابن خالوية، مختصر شواذ القرآن من كتاب البديع، ١٢٥.

١٧٨ توفيق إبراهيم ضمرة، جلاء بصري في قراءة الحسن البصري، ٧٨.